لغز رجل الصندوق



محمود سالم

لغز رجل الصندوق

تأليف
محمود سالم



لغز رجل الصندوق

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٧ ٢٤٨١ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٤.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

بداية مثيرة

كانتْ بدايةً مثيرةً لأُمسية تصورَت «لوزة» أنها ستكون أمسيةً هادئة؛ فقد تركَت «عاطف» في غرفته مشغولًا بأدوات النِّجارة التي اشتراها حديثًا، ونزلَت هي إلى الحديقة لانتظار الأصدقاء الثلاثة «تختخ» و«مُحب» و«نوسة». وجلسَت «لوزة» تراقبُ فراشةً جميلةً كانَت تخفق بأجنحتها بين الأزهار فتبدو كزهرةٍ طائرة ... وبينما هي تستمتع بهذا المشهد الجميل سمعَت صوتَ خطواتٍ سريعةٍ تأتي من باب الحديقة المفتوح، وعندما رفعَت بصرها لتعرف القادم، شاهدَت صديقتها الجديدة الصغيرة «ناهد» وهي مُقبلةٌ عليها وقد بدا على وجهها الاهتمام.

وقفَت «لوزة» تستقبل صديقتها الصغيرة، ومدَّت يدَها للسلام عليها، ولكن «ناهد» أسرعَت تقول: تعالَي معي!

لوزة: إلى أين؟ ولماذا؟

ناهد: إلى منزلنا. إن شيئًا غريبًا جدًّا حدثَ هناك!

ومدَّت يدها تضعها في يد «لوزة» وتجذبها، واضطُرَّت «لوزة» للسير معها وهي شديدةُ الدهشة، ومضَت «ناهد» تقول: عثرتُ على رجلٍ في صندوق!

لوزة: رجل في صندوق؟! كيف؟!

ناهد: رجل داخل صندوقٍ مغلقٍ في حديقة منزلنا!

توقَّفَت «لوزة» وقالَت لـ «ناهد»: أرجوكِ يا «ناهد»! لا بد أن تقولي لي كلَّ شيء قبل أنْ أخطو خطوةً أُخرى ... ما هي بالضبط حكايةُ رجلِ الصندوق هذه؟

ودار برأس «لوزة» شريطُ تَعَرُّفها بـ «ناهد» منذُ أُسبوعَين؛ فقد انتقلَت «ناهد» ووالدها ووالدتها إلى «فيلا» قريبةٍ منهم، وفي أثناء لعب «ناهد» بدرَّاجتها، وقعَت أمام منزل «لوزة»

التي أسرعَت إلى إسعافها، ومنذ تلك اللحظة ارتبطتا بصداقةٍ لطيفةٍ ... وحكَت «لوزة» لها بعض مغامراتها مع الأصدقاء، فاهتمَّت «ناهد» جدًّا بها، وأصبحَت كلما قابلَتها أَلَحَّت عليها أن ترويَ لها مزيدًا من المغامرات، كما أَبدَت رغبةً شديدةً في أن تنضمَّ إلى المغامرين الخمسة في مغامراتهم المقبلة.

دار هذا في رأس «لوزة» في ثوانٍ قليلة، وهي تنظرُ إلى وجه «ناهد» الذي كان متضرِّجًا بالدم من أَثَر انفعالِها الشديد، وجريها من منزلهم إلى منزل «لوزة».

قالَت «ناهد»: سأحكي لكِ ونحن نسير. ومضتا، وقالَت: خرج والدي ووالدتي في زيارةٍ لبعض الأصدقاء، وتركوني مع عمٍّ «سيد» الطبَّاخ، الذي احتاجَ إلى شراءِ بعض المواد التموينية من الجمعية التعاونية، فخرج ووعدني ألَّا يتأخَّر، وهكذا جلستُ في الحديقة وحيدة؛ فكما تعرفين نحن لم نجد بوَّابًا بـ «الفيلا» بعد.

ووصلتا إلى الشارع، ومضَت «ناهد» تحكي في صوتٍ متقطِّعٍ من فرط الانفعال: وبعد خروج عمٍّ «سيد» بحوالي نصف ساعة، وصلَت سيارةُ نقلٍ تحمل مجموعةً من الصناديق وغيرها، ونزل منها السائق وسألني عن والدي، فقلتُ له إنه خرج، فقال إنه أحضر لنا الثلَّاجة التي أرسلها لنا عمي من الخارج ... وكنتُ أعرف أن عمي الذي يعمل في «إيطاليا» سيرسل لنا ثلَّاجة، وهكذا طلبت من السائق أن يُنزلها في الحديقة، وقام هو والحمَّال بإنزالها فعلًا، ووقَّعتُ له على إيصالٍ بالتسلُّم بهذا القلم.

ومدَّت يدها بقلم حبر جاف صغير، ثم مضَت تقول: وقضيتُ بعض الوقت في المنزل، ثم عدتُ إلى الحديقة. كنتُ أُريد أن أفعل أيَّ شيءٍ يُسلِّيني، فأخذتُ أدور حول الصندوق، ولم يكن هناك شيء غير عادي، حتى بدا لي وأنا غيرُ مُصدِّقةٍ أن ثمَّة قطعةً صغيرةً من الخشبِ تتحرَّك بهدوءٍ وحذرٍ في جدار الصندوق ... أغمضتُ عينَي وفتحتهما وأنا أشكُّ فيما أرى، ولكن ذلك كان صحيحًا ...

وصمتَت «ناهد» لحظات، وعادَت تتحدَّث وقد شدَّت انتباه «لوزة» التي كانَت تستمع باهتمامٍ بالغ: اقتربتُ بهدوء فلاحظتُ وجود ثقوبٍ صغيرةٍ بجوار الفتحة التي كانَت في حجم قطعة الشوكولاتة المتوسِّطة ... وانحنَيتُ على الفتحة ونظرت ...

وتوقَّفت «ناهد» عن السير وأمسكَت بذراع «لوزة»، فالتفتَت «لوزة» إليها وشاهدَت في عينَيها بريقًا غريبًا، وقالَت «ناهد»: نظرت ... فرأيتُ عينَين تنظران إليَّ في حذر ... وخوف!

وابتلعَت «ناهد» ريقها، ثم قالَت: ولم تكد عيناي تلتقيان بالعينَين الغريبتَين حتى أغلقتُ الفتحة سريعًا، وخُيِّل إليَّ أنني سمعتُ آهةً خافتةً تصدر من صاحب العينَين!

وعادَتَا تسيران، ومضَت «ناهد» تقول: وقفتُ مذهولةً لا أدري ماذا أفعل! كيف تحوَّلَت الثلاجة إلى رجل؟! ماذا حدث؟ هل هناك خطأ؟ كان رأسي يدور كالدُّوامة وأنا أنظرُ حولي فلا أجد أحدًا أتحدَّث معه أو أستشيره فيما يجب أن أفعله ... وقرَّرتُ أن أُحاول معرفة من بداخل الصندوق ... فمددتُ يدي أُحاول فتح النافذة الصغيرة التي أَطلَّت منها العينان، وكانَت مخفاةً بمهارة، ولكني استطعتُ العثور عليها، وأخذتُ أدق بأصابعي لعلي أسمع صوتًا، فلم يردَّ أحد، وحاولتُ فتحها فلم أستطع ... ووضعتُ أُذني على الفتحة وحاولتُ الاستماع ... وبالتأكيد كان هناك صوت تنفُّس ثقيل.

وكانتا قد اقتربتا من «الفيلا»، فأسرعَت «ناهد» تُكمل قصتها قائلة: وقرَّرتُ أن أحضر إليكِ سريعًا ... فأنتِ مغامرة، وقد يُمكنكِ حلُّ هذا اللغز.

واقتربتا من باب الحديقة، وكانَت «لوزة» تُفكِّر بسرعة ... هل هذا الكلام صحيحٌ أو مجرَّد أوهام؟ هل شاهدَت «ناهد» العينَين أو خُيِّل إليها هذا فحضرَت سريعًا إليها قبل أن تتأكَّد؟!

على كل حال — هكذا قالَت «لوزة» لنفسها — سوف أتأكَّد بعد ثوانٍ قليلة ... ثم فكَّرَت ... لو صدقَت «ناهد» فيما قالَت، فماذا تفعل؟ لا شيء إلا أن تُسرع إلى المغامرين لتُخطرهم بما حدث ... وأحسَّت بقلبها يدقُّ سريعًا ... فهي مُقبلةٌ على مغامرة!

ودخلَتا الحديقة، وكان الصندوق هناك بجوار السُّلم، وصدرَت عن «ناهد» صرخةٌ خافتة، ثم قالت: يبدو لي ... يبدو لي ...

وقبل أن تُتم جملتها كانَتا قد وصلتَا إلى الصندوق ... وأكملَت «ناهد» جملتَها قائلة: يبدو لي أنه ليس الصندوق نفسه!

أحسَّت «لوزة» بضيقٍ مفاجئ ... فبعد أن أعدَّت نفسها لمغامرة، إذا بالمغامرة تُفلتُ سريعًا من أصابعها ... ووقفَت «ناهد» وقد علا وجهها الذهول وهي ما تزالُ تُحدِّث نفسها.

دارَت «لوزة» حول الصندوق، وأخذَت تدق على جوانبه وتتصنَّت؛ لكن لم يَبدُ أن هناك شيئًا غير عادي فيه ... فالتفتَت إلى «ناهد» التي قالَت في ضيق: أُؤكِّد لكِ يا «لوزة» ... أنه ليس الصندوق الذي كان هنا من قبل ... إن الصندوق الآخر كان محكم الإغلاق ... إنه الطول نفسه، والعرض واللون تقريبًا، ولكن ...

وصمتَت قليلًا، ثم عادَت تقول: ولكني رسمتُ على الصندوق الآخر بهذا القلم وردةً صغيرة ... أنتِ تعرفين أنني أُحب الرسم ... وأُخطِّط على كل شيء أراه، وقد رسمتُ وردةً على الصندوق في مثل هذا المكان.

وأشارَت على مكان في الصندوق ... لم يكن عليه أيُّ رسم.

قالَت «لوزة» مبتسمةً بعد أن ذهب ضيقها: لا بأس يا «ناهد»؛ فكثيرًا ما تُخيَّل إلينا أشياء لم تحدث ... ولعل ضوء الشمس الغاربة قد انعكس على الصندوق فبدا لكِ ما وصفتِه.

احمرَّ وجه «ناهد» وقالَت: «لوزة» ... يجبُ أن تُصدِّقيني ... إنني أُؤكِّد لكِ أنني شاهدتُ عينَي الرجل ... وأنني رسمتُ الوردة على الصندوق، وأن هذا الصندوق ليس هو الذي كان هنا منذ ساعة!

أحسَّت «لوزة» أن «ناهد» تقول الصدق، وهي متأكِّدةٌ ممَّا شاهدَت، فقالَت: هل يمكن استخدام التليفون؟

ناهد: طبعًا ... لماذا؟

لوزة: سأستدعي الأصدقاءَ إلى هنا ... لعلَّنا نستطيعُ معرفةَ ما حدث ... إنهم مُتمرِّنونَ على الاستنتاجات، وقد نعرفُ لغزَ الصندوق.

وفتحَت «ناهد» الباب، وأسرعَت «لوزة» إلى التليفون، واتصلَت بشقيقها «عاطف»؛ فقد توقَّعَت أن يكون بقية المغامرين قد ذهبوا في موعدهم إلى كشك الحديقة حيث يجتمعون.

ردَّ «عاطف»، فقالَت «لوزة»: هناك لغزٌ صغير!

قال «عاطف» بسخريته المعتادة: من أي وزن، وزن الذبابةِ مثلًا؟

قالَت «لوزة» مُحتدَّة: لغز ...

ثم تردَّدَت وخشيَت أن يسخرَ منها عندما تروي له الحكاية، فعادَت تقول: أعطني «تختخ» أُكلِّمه.

وجاء «تختخ» إلى التليفون، فقالَت «لوزة»: هناك لغزٌ ما ... أو قُل إنه مشروعُ لغز، وأقترح ما دُمنا غير مشغولين بشيء أن نُفكِّر فيه.

تختخ: وما هي حكاية هذا اللغز أو هذا المشروع؟

وروَت «لوزة» لـ «تختخ» ما قالَته «ناهد»، حتى وصلَت إلى حضورها وكيف وجدَتَا الصندوق قد تغيَّر.

تختخ: تغيَّر؟! من الذي غيَّره؟

لوزة: لا أعرفُ، ولا «ناهد» تعرف. إننا نُريد حضورك لهذا السبب!

وعلى غير ما توقَّعَت «لوزة» تحمَّس «تختخ» للحضور، فأحسَّت «لوزة» ببعض الراحة، ووضعَت سمَّاعة التليفون، والتفتَت إلى «ناهد» قائلة: لقد تحمَّسُوا للحضور، وسوف نحل لكِ اللغز.

وعندما خرجَتَا من «الفيلا» كان عم «سيد» الطبَّاخ قد عاد، وعندما شاهد الصندوق قال: لقد حضرَت الثلَّاجة ... الحمد لله.

وكادَت «ناهد» أن تروي له ما حدث، ولكن «لوزة» أشارَت إليها بالصمت، فتركَته وخرجَت إلى الحديقة.

جلسَتا بجوار الصندوق، ومضَت فترةٌ وهما صامتتان، ثم قالَت «ناهد»: شيء غريب! ... كيف تغيَّر الصندوق؟!

قالَت «لوزة» تُطمئنها: الآن سوف نعرفُ ماذا حدث بالضبط؛ فالمغامرون الخمسة سوف يتدخَّلون.

وسمعتا صوت أجراس الدرَّاجات مقبلة، فقالَت «لوزة»: إنهم مُتحمِّسونَ فعلًا؛ فقد حضروا بالدرَّاجات حتى لا يُضيعوا وقتًا!

وظهرَت الدرَّاجات عند مدخلِ الحديقة، وظهر «زنجر» أيضًا، وأسرع إلى «لوزة» فقد كانا صديقَين.

نزل «تختخ» من على درَّاجته، وطلب من الأصدقاء جميعًا النزول قبل أن يدخلوا الحديقة، ثم طلب منهم ألَّا يدخلوا من الباب أيضًا، ودُهِش الأصدقاءُ، ولكن دهشتهم زالَت عندما وجدوا «تختخ» ينحني على الأرض عند مدخلِ الحديقة، ثم يمشي في اتجاه الصندوق مُحاذرًا، ثم يدور حوله، ثم يعود سائرًا على جانب الحشائش الخضراء وهو يتأمَّلها فاحصًا. وعندما رفع رأسه التفتَ إليه الأصدقاء، ومعهم «ناهد» أيضًا وقال «تختخ» بهدوء: لا شكَّ أنه كان هنا صندوقٌ آخر، وقد تمَّ استبداله بهذا الصندوق!

وتنفَّسَت «ناهد» الصُّعَداء؛ فقد تحقَّق الأصدقاءُ أنها قالَت الحقيقة.

أخبار هامة

أدرك الأصدقاء من تحرُّكات «تختخ» ونظراته كيف وصل إلى الاستنتاج بأن هناك صندوقًا آخر غير الموجود قد وصل إلى الحديقة من قبل، وقال «تختخ» يشرحُ استنتاجاته: إن الحديقة لحسن الحظ قد رُويَت هذا الصباح ... وما زالَت الأرض مُبتلَّةً تَسمحُ باستقراء الآثار التي تركَتها الأقدامُ التي تحرَّكَت عليها ... فهذه أقدامٌ غائصة في الأرض، وواضح أنها تحمل ثقلًا كبيرًا ... وها هي ذي تعود وتترك آثارًا أخفَّ بعد أن تخلَّصَت من حمولتها ... وهذه آثار الأقدام نفسها غائصةٌ في الأرض مرَّةً أخرى، وهذا دليل على أنها عادَت تحمل ثقلًا آخر ... بل إن الصندوق الأول ترك آثارًا واضحةً على العشب الأخضر ... وفي استطاعتنا قياس هذه الآثار ومعرفة طول وعرض الصندوق بالضبط.

هزَّت «لوزة» رأسها قائلة: كيف لم يخطر ببالي أن أقوم أنا بهذه الاستنتاجات؟! إنها واضحةٌ جدًّا!

علَّق «عاطف» بسخرية: هكذا كلُّ شيء في العالم يبدو سهلًا بعد أن نعرفه.

ردَّت «نوسة» معاتبة: صحيح ... ولكن «لوزة» كانَت مشغولةً بالبحث عن صندوقٍ فيه رجل، وعندما لم تجِده نسيَت كلَّ شيء، وربما فكَّرَت في أن المسألَةَ كلَّها كانَت مجرَّد وهمٍ من جانب «ناهد».

تحدَّثَت «ناهد» فقالَت: إن ما ذكرَته «لوزة» كان حقيقة ... لقد رأيتُ عينَي الرجل، ورسمتُ وردةً على الصندوق بالقلم.

مُحب: وكيف عرفتِ أنه رجل؟

ناهد: كان هذا واضحًا؛ فحاجباه كثيفان جدًّا، وأحدهما مقطوعٌ من نصفه، وجبهتُه مُتغضِّنة، وشعره منكوشٌ عليها ... بالإضافة إلى نظرته.

تختخ: ماذا تقصدين؟

ناهد: كانَت نظرات رجلٍ خطير!

رفع «تختخ» حاجبَيه وهو يسمع هذه الجملة، وفكَّر قليلًا، وتصوَّر الأصدقاء أنه سيُعلِّق عليها، ولكنه هزَّ رأسه، ثم لاذ بالصمت.

قالت «نوسة»: هكذا ثبتَ أنه كان هناك صندوقٌ به رجلٌ أُنزل في هذه الحديقة ... ثم نُقِل منها وأُحضر هذا الصندوق ... فما هي استنتاجاتكم حول هذه الحقائق؟

سكتَ الجميع، ثم قال «تختخ»: ليس هناك سوى احتمالٍ واحد ... إن الصندوق الأوَّل الذي كان به الرجلُ قد أُحضر خطأً إلى هذا المكان لتشابه الصندوقَين، ثم عندما اكتشفوا هذا الخطأ عادوا فأخذوا الصندوق، ووضعوا بدلًا منه هذا الصندوق.

عاطف: من هم الذين اكتشفوا؟

تختخ: الذين وضعوا الرجل في الصندوق!

عاطف: هل تقصدُ أن الرجل خُطف ووُضع في الصندوق بالرغم منه؟

تختخ: لا أدري ... فلو أنه كان مخطوفًا لصاح في طلب المساعدة عندما وجد «ناهد»، ولكنه لم يفعل ذلك، بل أغلق النافذةَ الصغيرة وأخفى نفسه، ولم يَردَّ على دقَّات «ناهد» على الصندوق. ولكن ليس هناك ما يمنعُ من أن يكون مخطوفًا واعتبر «ناهد» ضمن أعدائه.

نوسة: إن معرفة سبب دخول الرجل في الصندوق مسألةٌ هامة ... فهناك فارقٌ بين أن يكون مخطوفًا، أو يكون قد دخل الصندوق برغبته.

تدخَّل «مُحب» في الحديث قائلًا: هذا ما يجب علينا معرفته ... وهي مسألةٌ ليست سهلة!

لوزة: ما دامَت عندنا هذه الحقائق فإن في إمكاننا أن نبدأ البحث.

مُحب: من أين؟

سكتَت «لوزة»، فقالَت «نوسة»: في إمكاننا إذا عرفنا شركة النقل التي أحضرَت الصندوق أن نبدأ البحث فيها.

تختخ: معقولٌ جدًّا ... هل لاحظتِ اسم الشركة يا «ناهد»؟

فكَّرَت «ناهد» قليلًا، ثم قالَت: لا أتذكَّر بالضبط ... ربما كانَت «الشركة الدولية للنقل» ... ومع ذلك يمكن التأكُّد من اسمها عندما يعود أبي.

لوزة: إننا يجب ألَّا نُضيع وقتًا؛ فإن كلَّ دقيقةٍ لها قيمتُها.

ناهد: إنني أعرفُ أين أبي الآن، وفي إمكاني الاتصال به.

نظر «تختخ» إلى ساعته، ونظر إلى الشمس الغاربة، ثم قال: أعتقد أننا لن نستطيع عمل شيء في هذا المساء؛ فقد هبط الظلام، وشركات نقلِ الأثاثِ لا تعملُ ليلًا في العادة، فلْننتظر الصباح.

ثم التفتَ إلى «ناهد» قائلًا: خذي حذركِ الليلة، فربما كانَت مشاهدتُكِ الرجلَ في الصندوق مسألةً خطيرة، وقد يكون هناك من يهمُّه ألَّا تَروي ما شاهدتِه لأحد.

وعندما استعدَّ الأصدقاءُ للانصراف قالَت «نوسة» لـ «ناهد»: بالمناسبة، لماذا لم يُدخلوا الصندوقَ إلى المنزل وتركوه في الحديقة؟

ردَّت «ناهد»: أنا التي طلبت منهم ذلك؛ فقد طلب مني عم «سيد» ألَّا أدع أيَّ شخصٍ يدخل المنزل في غيابه.

مُحب: وهل تذكرين شكلَ الرجال الذين أنزلوا الصندوق؟

ناهد: طبعًا. لقد كانوا ثلاثة ... السائق، وحمَّال قصير قوي، وآخر طويل وله حدبةٌ واضحةٌ في ظهره.

مُحب: وهل عرفتِ أسماءهم؟

ناهد: أذكرُ أنه كان يُنادي بعضُهم بعضًا باسم «جنيدي» للحمَّال الطويل، و«كعبورة» للحمَّال القصير القوي، أمَّا الثالث فلا أذكر اسمه.

عاد «تختخ» يُحذِّر «ناهد» قائلًا: خذي حذرك، وراقبي كلَّ شيء جيدًا، إنني أتوقَّع أن تكوني محور اهتمام هؤلاء الناس ما دمتِ قد شاهدتِ الرجل الذي في الصندوق.

وانصرف الأصدقاء، وكان الظلام قد هبطَ على المعادي، فقرَّروا أن يعودوا إلى بيوتهم على أن يجتمعوا مرةً أخرى في الصباح. وعندما خلا «تختخ» إلى نفسه أخرجَ مُفكرته الصغيرة، وقيَّد بها كلَّ المعلوماتِ التي حصلوا عليها من «ناهد»، وكتبَ اسمَ شركة النقل، وأسماء العمَّال الثلاثة الذين نقلوا الصندوقَين، ومكان اسم الثالث علامة استفهام.

واستيقظ «تختخ» في صباح اليوم التالي نشيطًا، ولم يكَد ينزل على السلَّم الداخلي لـ «الفيلا» حتى سمع جرس التليفون يدق، فأسرعَ إليه ووجدَ «لوزة» على الخط، وكانَت منفعلة، وقالَت بسرعة: صباح الخير ... لقد اتَّصلَت بي «ناهد» الآن، وقالَت إنها عرفَت اسمَ الشركة التي نقلَت الصندوقَين ... اسمها «الشركة العالمية للنقل»، ومقرُّها في شارع «نجيب الريحاني».

ردَّ «تختخ»: ولكن لماذا يبدو صوتكِ منفعلًا هكذا؟ إن اسم الشركة ليس سببًا ... هل هناك أخبارٌ أخرى؟

لوزة: نعم ... إن «ناهد» تُريد أن تُقابلكَ الآن؛ فعندها معلوماتٌ تُريد أن تقولها لكَ أنتَ وحدك!

تختخ: أنا وحدي؟! لماذا؟!

لوزة: لا أدري ... وقد اتَّفقتُ معها على أن نحضرَ معًا إليكَ بعد قليل.

تختخ: مرحبًا بكما ... سأكون مستعدًّا بعد ربع ساعة.

أسرعَ «تختخ» بتناول إفطاره، ثم خرج إلى الحديقة حيث اختارَ كرسيًّا في ظل شجرةِ «النبق» العالية التي تقعُ عند المدخل، وجلس ورأسه يدور بعشرات الأفكار ... ماذا تريد منه «ناهد»؟ وما هي المعلومات التي تُريد أن تقولها له وحده؟ ولماذا لم تقُلها لصديقتها «لوزة»؟

ولم يطُل تساؤله؛ فقد ظهرَت الفتاتان على باب الحديقة وقد بَدَا واضحًا على «ناهد» أنها تحمل أخبارًا هامة، وبعد أن تبادل الثلاثة التحية قالَت «لوزة»: سأسبقكما إلى حديقتنا حيث يأتي بقية المغامرين، فالحقا بنا إلى هناك بعد الانتهاء من حديثكما.

ونظر «تختخ» إلى «لوزة» بتقدير، لقد رتَّبَت كلَّ شيء، وانصرفَت مسرعةً وتركَتهما.

فقال «تختخ»: لماذا تُريدين الحديثَ إليَّ وحدي يا «ناهد»؟ لقد اعتاد المغامرون الخمسة ألَّا يُخفي بعضُهم عن بعضٍ شيئًا.

ناهد: آسفةٌ جدًّا ... ولكن لقد طلب مني ألَّا أتحدث إلى أحدٍ مطلقًا!

تختخ: من هو؟

ناهد: رجل الصندوق ... أو بالتحديد مندوب عنه!

تختخ: هل اتصل بك؟!

ناهد: نعم، كما توقَّعتَ أنت تمامًا!

تختخ: اروي لي كلَّ شيءٍ بالتفصيل.

ناهد: اليوم في الثامنة صباحًا اتصلَ شخصٌ بمنزلنا، كان أبي وأمي قد خرجَا بالسيارة فهما كما تعرف يعملان، وبقيتُ وحدي في «الفيلا»، مع عم «سيد» الطبَّاخ ... وردَّ على المكالمة عمُّ «سيد»، ثم ناداني وقال إن هناك مكالمةً تليفونيةً لي.

وسكتَت «ناهد» لحظاتٍ تستردُّ أنفاسَها اللاهثة، ثم قالَت: وذهبتُ إلى التليفون وسمعتُ صوتًا يقول: هل أنتِ «ناهد»؟ فلمَّا رددتُ بالإيجاب قال إن عنده رسالةً على

جانبٍ كبيرٍ من الأهمية لي ... وأنه يُهمُّه جدًّا ألَّا أُخبر بها أحدًا مطلقًا حتى أبي وأمي، وإلا تعرَّضتُ لخطرٍ شديد!

لمعَت عينا «تختخ» باهتمامٍ بالغ، ثم قال: وما هي هذه الرسالة؟

ناهد: قال إن رجل الصندوق الذي رأيتُه أمس يقوم بعملٍ هام لمصلحة الوطن، ومن المهم جدًّا ألَّا يعرف أحدٌ حكايةَ وجوده في الصندوق، وإلا تعرَّضَت مهمَّته للإخفاق.

ومضَت «ناهد» بعد لحظاتٍ تستكملُ حديثَها: وقال لي إنني إذا أفضيتُ لأي شخصٍ آخر بهذا السر فسوف أتعرَّض أنا شخصيًّا للخطر الشديد ... ولأنني لم أعرف كيف أتصرف؛ فقد فكَّرتُ في أن أقول لكَ أنتَ وحدكَ باعتباركَ زعيم المغامرين الخمسة، وأنكَ أكبرنا سنًّا، ويمكنكَ التصرُّف في هذه المعلومات بطريقةٍ أفضل.

هزَّ «تختخُ» رأسه، ومدَّ يده يربت على رأس «ناهد» وقال: أشكركِ على ثقتكِ بي، لقد تصرَّفتِ بحكمةٍ بالغة.

وأسند «تختخ» رأسه على كفه، واسترسل في تفكيرٍ عميق، لقد كانَت الأخبار هامةً فعلًا، ويجب فحصها جيدًا؛ ليس فقط لأن «ناهد» قد تتعرَّض للخطر بسببها، ولكن لأن المسألة قد تتعلَّق بأمن الوطن وسلامته.

وأخذَت «ناهد» تنظر إليه وتنتظر ما يقوله لها، ومضَت فترة، ثم قال «تختخ»: عليكِ أن تعودي الآن إلى منزلكِ فورًا ... ابقَي فيه ولا تُغادريه مطلقًا لأي سببٍ حتى أتصل بكِ أنا.

ناهد: ألَا أذهب إلى حديقةِ «عاطف» لمقابلة بقية المغامرين؟

تختخ: لا ... مطلقًا، عودي إلى بيتك، ولا تتصلي بنا إلا بعد أن أتصل بكِ أنا شخصيًّا، وقد لا تعرفين صوتي، فلْتكن كلمةُ السرِّ بيننا «الوردة»؛ نسبةً إلى الوردة التي رسمتِها على الصندوق ... وكلما اتَّصلتُ بكِ سأقولُ لكِ هذه الكلمةَ حتى تتأكَّدي أنني أنا المتحدِّث ... وأُريدكِ مرةً أخرى أن تكوني حذرةً جدًّا، ولا تقولي هذه المعلوماتِ لأي شخصٍ آخر.

انصرفَت «ناهد»، وسمعَ «تختخ» صوتَ جرس درَّاجتها وهو يدقُّ في الشارع، وتمنَّى في سرِّه ألَّا يحدث لها مكروه، ثم قامَ إلى التليفون واتَّصل بمنزل «عاطف»، وتحدَّثَ إليه قائلًا: «عاطف» ... لن أتمكَّن من الحضور الآن؛ فهناك مهمَّة سأقوم بها قد تستمرُّ نحو ساعتَين، وسأعود إليكم.

عاطف: هل لهذه المهمَّة علاقةٌ برجل الصندوق؟

تختخ: نعم.

عاطف: قالَت لنا «لوزة» إن «ناهد» قابلتكَ لأن هناك أخبارًا مهمَّة، فما هي هذه الأخبار؟

فكَّر «تختخ» قليلًا، ثم قال: سوف أقول لكم كلَّ شيءٍ في الوقت المناسب … أمَّا الآن فالمصلحة تقتضي أن أحتفظ بهذه المعلومات لنفسي … فإلى اللقاء.

رجل مفقود

اتجه «تختخ» رأسًا إلى محطة المعادي، وركب القطار إلى «القاهرة»، ثم اتجه إلى مكتب المفتش «سامي»، واستقبله صديقه المفتش بترحاب كبير، وطلبَ «تختخ» أن ينفردَ بالحديث مع المفتش، وسرعان ما أُخليَت الغرفة وأصبحا وحيدَين.

قال «تختخ»: إن عندي بعض المعلومات التي يبدو أنها هامة، وأُريد أن آخذ رأيكَ فيها.

وروى «تختخ» للمفتش كلَّ المعلومات والأحداث والاستنتاجات التي عنده، وعندما انتهى «تختخ» من حديثه ظلَّ المفتش صامتًا لحظات، ثم قال: عندنا كما هو واضح ثلاثةُ احتمالات ... الأوَّل: أن يكون الرجل يقوم بخدمةٍ من أجل الوطن، وهذا ما سأُحاول أن أعرفه ... والثاني ... أن يكون الرجل مخطوفًا، وسوف نُراجع كشوف المتغيِّبين عن منازلهم في الفترة الأخيرة ... والثالث ... أن يكون هذا الرجل يقوم بعملٍ شريرٍ لا نعرف ما هو ... وعلينا أن نفحص هذه الاحتمالات كلَّها.

وسكت المفتش لحظات، ثم قال: هذا إذا كنتَ متأكِّدًا أن «ناهد» لم تتوهَّم كلَّ ما حدث، وأنها تفعل هذا لإثارة جوٍّ من الغموض والإثارة حولها.

قال «تختخ»: إنني أضع هذا الاحتمال في حسابي ... ولكنني أُرَجح أن ما قالَته صحيح ... وعلى كلِّ حالٍ لن نخسر شيئًا إذا تابعنا الموضوع لبعض الوقت.

المفتش: ليس عندنا رسميًّا ما يمكننا عمله، وعلى المغامرين الخمسة أن يبدءوا وحدهم، وسنُساعدهم عندما يحتاجون للمساعدة.

قام «تختخ» واقفًا وهو يشكر المفتش، ثم قال: إن ما أنتظره من سيادتك أن تُبلغني عمَّا إذا كان الرجل يقومُ بخدمةٍ في سبيل الوطن أولًا، ثم كشف المفقودين في الفترة الأخيرة.

المفتش: نعم، وسيستغرق ذلك بعضَ الوقت.

تختخ: لا بأس ... سنبدأ نحن تحرياتنا، وإذا وصلنا إلى شيء فسوف نُبلغك به.

المفتش: اتَّفقنا ... وإلى اللقاء ... ولا تنسَوا تعليماتي الدائمة ... خذوا حذركم، ولا تُعرِّضوا أنفسكم للمخاطر.

وخرج «تختخ» إلى الشارع ... كانَت هناك مهمَّةٌ أخرى يقوم بها في «القاهرة» قبل العودة إلى المعادي ... فركب الترام إلى محطة باب الحديد، ثم اتجه إلى شارع «نجيب الريحاني» حيث توجد «الشركة العالمية للنقل»، التي قامَت إحدى عرباتها بنقل الصندوق. لم يجد صعوبةً في العثور على الشركة، ووقف على الطوار الآخر يرقبها متظاهرًا في الوقت نفسه أنه يتفرَّج على إعلانات سينما «ريتس» التي تقع مقابل الشركة مباشرة.

كانَت هناك سيارةٌ واحدةٌ من سيارات الشركة وبعض الحمَّالين، ولم تكُن الشركةُ أكثر من غرفة مكتبٍ واسعة، مزدحمةٍ ببعضِ الموظَّفين والعملاء ... ولم يكُن الرجال الثلاثة الذين نقلوا الصندوق — كما وصفَتهم «ناهد» — بين الموجودين. وفكَّر «تختخ» أنهم في مهمَّة لم يعودوا منها بعد. ووقف فترةً يتأمَّل حركة العمل في الشركة، ولكنه لم يجِد شيئًا غير عادي يمكن أن يَلفت الانتباه، وقرَّر أن يعود إلى المعادي ... فمن الواضح أنه لن يعثر على معلوماتٍ هامة في هذه الوقفة ... وبينما هو يستعدُّ لمغادرة الشارع والعودة إلى باب اللوق ... شاهد سيارةً من سيارات الشركة مقبلة ... فتوقَّف لحظاتٍ يرقبها حتى وقفَت ... وعندما نزل منها الرجال الثلاثة الذين كانوا فيها، لم يشُكَّ لحظةً أنها السيارة التي نقلَت الصندوق إلى منزل «ناهد» ... فقد كان أحدُ الرجال الثلاثة طويلًا له حدبة واضحة في ظهره ... قال «تختخ» لنفسه: لا بد أنه «جنيدي». ثم الثاني وكان قصيرًا متينًا ... ومرةً أخرى همس «تختخ»: لا بد أنه «كعبورة» ... فهو فعلًا «مكعبر».

دخل السائق إلى مكتب الشركة، على حين نزل الحمَّالان فجلسا على الرصيف، وأخلدا إلى الراحة بعد أن طلبا من صبيٍّ صغيرٍ أن يُحضر لهما كوبَين من الشاي.

عاد «تختخ» يُراقب في اهتمامٍ وهو يتمنَّى أن يحصل من الحمَّالَين على أية معلومات يمكن أن تُلقي ضوءًا على حكاية الصندوق ... من أين أتى؟ إلى أين ذهب؟ من صاحبه؟! وأخذ يقلب عشرات الخطط في ذهنه حتى يبدأ الحديث إليهما، ولكن في كل مرةٍ كان يجدُ ثغرةً في الخطة يمكن أن تُثير انتباه الرجلَين ... وأخيرًا قرَّر أن يتسكَّع بجوارهما فقد يسمع شيئًا يُهمُّه ... فعلًا عبَر الشارعَ مُتَّجهًا إليهما ... كان مستغرقًا في التفكير فلم يلتفت إلى سيارةٍ مقبلةٍ بسرعة، ما كاد سائقها يلمحه حتى أطلق آلة التنبيه بشدة، وداس على الفرامل

إلى أقصاها ... وقد استطاع فعلًا أن يُنقذَ «تختخ» من موتٍ محقَّق، ولكن العجلة الأمامية أصابَت «تختخ» إصابةً أوقعَته على الأرض ... وسرعان ما تجمَّع المارة ... وكان أقرب الناس إليه الحمَّالَين اللذَين كانا يجلسان على الرصيف ... فقفزا مسرعَين إليه، وحملاه وأجلساه على كرسيٍّ بجوار الشركة ... نزل سائق السيارة صائحًا منفعلًا ... واجتمع الناس كلٌّ يُدلي برأيه ... وكان الحمَّال الأحدب يجس جسم «تختخ» باحثًا عن إصابة ... ولكن «تختخ» طمأنه قائلًا: لا شيء والحمد لله ... بضع إصابات بسيطة.

وأخذ الناس يُلقون اللوم على السائق، ولكن «تختخ» إحقاقًا للحق قال: إنني أنا المخطئ ... فقد كنتُ أسير بلا وعي.

وانصرف السائق إلى سيارته التي سدَّت الطريق، وارتفعَت خلفها عشرات من آلات التنبيه الغاضبة.

انصرف الناس سريعًا كما تجمَّعوا ... وكان الصبي قد أحضر صينيةً عليها كوب الشاي، فمدَّ السائق القصيرُ يده إلى «تختخ» بكوب ماءٍ وقال: اشرب.

وشرب «تختخ» الكوب وشكر الرجل، وقال الحمَّال الطويل: هل تشعر بشيء؟

قال «تختخ»: أبدًا ... بعض آلام خفيفةٍ في جنبي وذراعي. شكرًا لكما.

الحمَّال: الحمد لله.

وأحسَّ «تختخ» أنهما رجلان طيبان ... وفي الوقت نفسه أدرك أن الفرصة ملائمةٌ للحصول على بعض المعلومات منهما ... لقد استيقظَت فيه غريزة المُغامر ... فنسي ما حدث وتيقَّظ ذهنه للعمل.

لم يكن عنده شكٌّ في أنهما الحمَّالان اللذان نقلا الصندوق إلى منزل «ناهد»، وهذه هي فرصته ... وقرَّر أن يسلك طريقًا سريعًا ومختصرًا للحصول على ما يُريد، فقال وهو ينظر إلى السيارة نظرةً فاحصة: لقد رأيتُ هذه السيارة أمس الأوَّل في المعادي ...

ردَّ الطويل «جنيدي»: في المعادي ... نعم ... فعلًا.

عاد «تختخ» يقول: كانَت تنقل صندوقًا كبيرًا من الخشب إلى منزل في الشارع رقم ٤٤ هناك. إنني أسكن قريبًا منه.

لم يردَّ الرجلان، فنظر إليهما «تختخ» في انتظار الرد، ولكن «كعبورة» قال: هل أنت على ما يرام الآن؟

قال «تختخ»: نعم.

قام الرجلان واقفين، وقال «كعبورة»: تستطيع أن تنصرف فعندنا عملٌ بعد قليل.

وتركاه ودخلا إلى مكتب الشركة، ودُهش «تختخ» لتغيُّرهما المفاجئ، وأدرك أن السر الذي يبحث عنه ليس سهلًا … وأن الحمَّالَين مشتركان فيه بشكلٍ ما.

وقرَّر أن يقوم لينصرف، ولكن فجأةً خرج من مكتب الشركة رجلٌ أنيقٌ ووقفَ أمامه قائلًا: لقد علمتُ أنكَ أُصبت … أرجو ألَّا يكون قد حدث شيءٌ خطير.

قام «تختخ» واقفًا، وأحسَّ بآلامٍ في جسده كلِّه، ولكنه تمالك نفسه وقال: لا … لا شيء مُهم.

الرجل: تعالَ، تفضل في الداخل وسأُرسل لإحضار طبيبٍ أو أستدعي الإسعاف.

تختخ: أشكرك … لا شيء يستدعي كلَّ هذا.

كان «تختخ» مندهشًا لهذا الاهتمام غير العادي، وازدادَت دهشته عندما مدَّ الرجلُ يدَه وأمسك بذراعه، ثم اقتاده وهو يبتسم إلى داخل المكتبِ قائلًا: تعالَ استرِح قليلًا واشرَب شيئًا.

لم يتردَّد «تختخ» فدخل، ووجد الحمَّالَين يقفان بجوار مكتبٍ جلس إليه الرجل الأنيق بعد أن أشار له بالجلوس.

نظر «تختخ» ناحية الحمَّالين، وشاهد على وجهَيهما تعبيرًا ما … وفي عيونهما نظرةٌ تُحذِّره من خطرٍ وشيك!

قال الرجلُ الأنيقُ وهو يهزُّ يدَه فيلمع فيها خاتمٌ ذهبيٌّ ضخم: لقد سمعتُ أنكَ شاهدتَ سيارتنا في المعادي.

قال «تختخ»: نعم … أمس الأوَّل.

الرجل: ورأيتَ فيها صندوقًا خشبيًّا؟

تختخ: نعم.

الرجل: لا بد أنك مخطئ؛ فلم تقُم سيارةٌ من سيارات الشركةِ بنقل أية صناديقَ إلى المعادي مطلقًا!

تختخ: ولكن …

وكاد أن يقول للرجل إن أحد الحمالَين اعترف أن السيارة كانت في المعادي أمسِ الأوَّل، ولكن نظرةً إلى وجه الحمَّال أقنعَته ألَّا يقولَ هذه الجملة، فاستكمل حديثه قائلًا: ولكن يبدو لي أنني رأيتُها.

وابتسمَ الرجلُ عن أسنانٍ أشبه بالأنياب وقال: أؤكد لكَ أنكَ كنتَ مخطئًا!

ابتسم «تختخ» أيضًا تأدُّبًا وقال: ممكنٌ طبعًا.

وأحضرَ الصبيُّ زجاجةً من «الكوكاكولا» لـ «تختخ» فشربَها شاكرًا، ثم همَّ بالقيام، ولكن الرجلَ ذا الخاتم الذهبيِّ قال متظارفًا: إن المعادي بعيدة، فانتظِر وسوف أُرسل إحدى سياراتنا لتوصيلك.

وصمتَ قليلًا، ثم قال: سيارتي الخاصة.

وصاح: استدعوا «حمودة» لتوصيله!

وقف «تختخ» معترضًا وقال: أشكرك جدًّا ... ولكنِّي أستطيع العودةَ في «تاكسي»!

قال الرجل مُصِرًّا: ولماذا تُكلِّف نفسَك؟ ستعود بك السيارة.

لم يجِد «تختخ» بُدًّا من الرضوخ برغم إحساسه بما في ذلك من خطرٍ عليه ... وأحسَّ بمزيجٍ من الخوف المُبهم والخطر، وأدرك أن توصيله ليس كرمًا من صاحب الخاتمِ الذهبيِّ بقدرِ ما هو عملٌ يستهدف شيئًا آخر.

ووقفَت أمام الشركة سيارةٌ رماديةٌ فاخرة، وودَّع مديرُ الشركةِ «تختخ» حتى الباب، ثم ركب «تختخ» وانطلقَت السيارة في طريقها إلى المعادي.

أخذ «تختخ» يُفكِّر في شريط الساعات التي مرَّ بها ... لقد وصل إلى حقائقَ هامةٍ ومثيرة، ولكن «هؤلاء» أيضًا عرفُوا حقائقَ لا تقلُّ أهمية ... وكان يقصد بـ «هؤلاء» من اشتركوا في عملية الصندوق.

وخطر له — والسيارة تشق طريقَها إلى المعادي — أن «هؤلاء» قد يختطفونه ... مثلًا قد تنحرف السيارة عن طريقها وتمضي إلى طريقٍ آخر ... مثلًا أن تدخل إلى «جراج» بدعوى الإصلاح أو غيره، ثم ينقضُّ عليه من يشل حركته، ثم يُنقل إلى مكانٍ لا يعرفه أحد.

وتحفَّزَت أعصابُه للنضال، وأخذ يُحرِّك ذراعَيه وقدمَيه كأنما سيدخل معركة، ولكن فجأةً قفزَت إلى رأسه فكرة ... إنهم يقصدون فقط أن يعرفوا عنوانه ... وعليه أن يُضلِّلهم ... وفعلًا مضَت السيارة في طريقها المعتادِ إلى المعادي ... وسأله السائق عن الطريق إلى منزله ... فقال له: شارع ٤٤ ... إنهم يعرفون عنوان «ناهد»، فليكن عنوانُه هناك أيضًا.

ووقفَت السيارةُ في إحدى إشارات المرور، ونظر «تختخ» من النافذة، وكم كانت دهشته عندما وجد الشاويش «فرقع» يقف بدرَّاجته، ويُحدِّق في وجهه بدهشةٍ شديدةٍ وهو يراه يركب هذه السيارةَ الفاخرة.

مُبارزة في الذكاء

نزل «تختخ» من السيارة أمام منزلِ «ناهد»، وتصرَّف ببساطةٍ كأنه نزل أمام منزله؛ فقد كان يعرف أن السائق سيُراقبه حتى يدخل من الباب، وهكذا لم يتردَّد وأسرع بدقِّ جرس الباب، وكأنه أحد سكَّان البيت، على حين يرمق بطرف عينه السيارة التي كان السائقُ يتظاهر بإدارة مُحرِّكها ولكنه لا يدور.

ورجَا «تختخ» أن تفتح «ناهد» البابَ حتى يدخل، فلو فتح عمُّ «سيد» الطبَّاخ فسوف يدورُ بينهما حديث، ويتضح أن المنزل ليس منزله ... وتحقَّق رجاؤُه؛ فقد فتحَت «ناهد» الباب ودُهشَت قليلًا لأن «تختخ» دخل على الفور، ولكن دهشتها زالَت عندما أغلق «تختخ» الباب خلفه، ثم شرح لها الموقف في كلماتٍ سريعة.

كانَت آثار الحادثة واضحةً على ملابسه ويدَيه ووجهه، فذُعرَت «ناهد»، ولكنه أسرع يُطمئنها، ثم اتَّصل تليفونيًّا بالأصدقاء، فعرف أنهم جميعًا في حديقة منزلِ «عاطف» في انتظاره، فقال لهم إنه سيذهب إلى منزله لإبدال ثيابه، ثم يلحق بهم هناك، وطلب من «ناهد» إعارته درَّاجتها؛ فهي — وإن كانَت صغيرةً نوعًا ما — أفضل من السير على القدمَين في هذا الجوِّ الحار.

ووقف «تختخ» بجوار الباب، ثم طلب من «ناهد» فتحه وإلقاءَ نظرةٍ على الشارع ... وقالَت «ناهد» وهي تُطلُّ من فتحة الباب: لقد انصرفَت السيارة ... وهكذا أسرع «تختخ» إلى درَّاجة «ناهد»، وانطلق مسرعًا إلى منزله.

لم يكَد «تختخ» يصل إلى قرب منزله حتى فوجئ بالشاويش «فرقع» يتسكَّع بالقرب منه، ولم يكَد الشاويش يرى «تختخ» ... حتى أسرع بدرَّاجته في اتجاهه، فوصلا في الوقت نفسه أمام باب الحديقة.

قال الشاويش وهو يرمق «تختخ» بنظرةٍ مستريبة: لقد ظننتُ أنكَ ستسبقني بالسيارة الكبيرة إلى المنزل، ولكني حضرتُ وسألتُ عنك فقيل لي إنكَ لم تحضر بعد، فأين كنت؟

كان «تختخ» متعبًا من أثر الحوادثِ التي مرَّت به، فقال للشاويش: هل هناك شيء محدَّد تُريده مني يا حضرة الشاويش؟

ارتبكَ الشاويشُ لهذه الملاحظةِ التي تتسمُ بالضيق، وتنحنح قائلًا: منظرك غريب … فأنتَ مصاب، وتركب درَّاجة بنات!

تختخ: هل هناك مانعٌ من أن أكونَ مصابًا، وأن أركب درَّاجة بناتٍ أو درَّاجة سيرك؟

الشاويش: ليس هناك مانعٌ طبعًا … ولكن …

تختخ: ولكن أشكرك يا شاويش على اهتمامك بي، ولكن أيضًا …

وفي تلك اللحظة اندفع «زنجر» كالسهم الأسودِ من باب الحديقة، وقفزَ على سيقان «تختخ» وأخذ يُرحِّب به.

وأدرك الشاويش أن «زنجر» بعد أن يُرحِّب بـ «تختخ» فسوف يُرحِّب به هو شخصيًّا على طريقته الخاصة … فبدأ يتحرَّك مسرعًا، ولكنه قبل أن يمشي قال لـ «تختخ»: لقد رأيتُ أن أُحذِّرك من السائق الذي كان يقود سيارتك.

وقبل أن يترك الشاويش لـ «تختخ» فرصةً أخرى لمناقشته، أطلق ساقَيه في الدراجة، فانطلقَت بسرعة … على حين فتح «تختخ» فمه مندهشًا لما سمعه من الشاويش … إنها معلومات هامة تلك التي قالها الشاويش في جملته القصيرة، وكان يُهم «تختخ» أن يستكمل معلوماته عن هذا السائق … ولكن تعبه والدرَّاجة الصغيرة التي يركبها منعاه من محاولة اللحاق بالشاويش … وقرَّرَ «تختخ» الحديثَ إلى الشاويش «فرقع» عمَّا قاله في وقتٍ لاحق، برغم علمه أن الصراع الدائم بين المغامرين الخمسة والشاويش قد يجعل الحصولَ على معلوماتٍ من الشاويش مسألةً صعبة.

بعد أن اغتسل «تختخ» وغيَّر ثيابه، انطلق عائدًا بدرَّاجة «ناهد» إلى حيث كان الأصدقاء ومعهم «ناهد» ينتظرونه بفارغ الصبر؛ فقد نقلَت إليهم «ناهد» أخبار إصابة «تختخ»، ولكنه عندما وصل إلى الحديقة لم يترك لهم فرصةً لسؤاله؛ فقد روى لهم بسرعةٍ ما مرَّ به من أحداث، وأكَّد لهم أن إصاباته خفيفة، فقال «عاطف»: لقد كانَت إصابات مفيدة؛ فلولاها لما تعرَّفتَ بالحمَّالَين والرجلِ ذي الخاتم الذهبي، وركبتَ السيارةَ الفاخرة، وقابلتَ الشاويش.

تختخ: معك حق … إن الإصابات كان ثمنها مُجزيًا.

وسكت «تختخ» لحظات، ثم قال: أُحب أن أقول لكم استنتاجاتي بعد أن رويتُ لكم ما حدث ... فمن الواضح أن «هؤلاء» ... ويجب أن نُطلق عليهم تسميةً حتى يسهل الحديث عنهم ...

سارعَت «لوزة» إلى الحديث قائلة: فلْنُسمِّهم «عصابة الصندوق»!

تختخ: لا بأس ... وإن كنا حتى الآن لا نعرف ما إذا كانوا عصابةً أم لا؟ ... فلْنقل إن «عصابة الصندوق» على درجةٍ كبيرةٍ من الذكاء ... فبعد أن رأَت «ناهد» رجل الصندوق سارعوا إلى تحذيرها من أي حديث عنه ... ثم عندما قلتُ للحمَّالَين إنني رأيتُ السيارة في المعادي، واعترف أحدهم بذلك، سارع الثاني إلى تغيير الحديث؛ ممَّا يعني أنهما تلقَّيَا تحذيرًا بعدم الحديث عن الصندوق، وأن الحمَّال الأوَّل تحدَّث سهوًا ... ثم جاء مُدير الشركة ونفى تمامًا أن إحدى عرباته قد ذهبت إلى المعادي ...

ونظر «تختخ» إلى الأصدقاء فوجدهم يُتابعون حديثه باهتمام، فمضى يقول: وإصرار مدير الشركة ذي الخاتم الذهبي على توصيلي بسيارته إلى منزلي يعني أنهم كانوا يُريدون معرفة منزلي، واهتمامهم بكل هذا يعني أن مسألة رجل الصندوق مسألة هامة جدًّا، وأعتقد أن لا علاقة لها بالدولة، وسوف نتأكَّد على كل حالٍ عندما يتصل بنا المفتش «سامي».

نوسة: وماذا يجب علينا أن نفعل حتى يتصل المفتش «سامي»؟ من غير المعقول أن ننتظر؛ فكل وقتٍ يمر ليس في صالحنا.

مُحب: ولعل رجل الصندوق قد نُقل الآن إلى حيث تُريد العصابة وانتهى الأمر ... ولم يعُد هناك مغامرة ولا ألغاز!

التفتَ «تختخ» إلى «عاطف» وقال له: وما رأيكَ أنتَ يا «عاطف»؟

عاطف: أعتقد أن رجل الصندوق هذا إمَّا مجنون في طريقه إلى مستشفى المجاذيب بطريقةٍ مُبتكرة، وإمَّا نوع من القردة ذاهب إلى حديقة الحيوان ... وإمَّا ...

وقبل أن يُتم إجابته الساخرة قاطعته «لوزة» قائلة: إنكَ تُضيع وقتنا بهذه النكات غير الضاحكة، لقد قلتَ مئات التعليقات بدون أن ...

ولكن «ناهد» التي كانَت معجبةً بشخصية «عاطف» الظريفة قاطعَتها هي الأخرى قائلة: لماذا هذا التحامل على «عاطف»؟ أليس من حقِّه أن يُبدي رأيه بالطريقة التي يُحبها؟! لقد حكيتِ لي مغامرات كثيرةً لعب فيها «عاطف» أدوارًا مُهمَّة.

رفع «تختخ» يده إلى فوق وقال: من فضلكم ... أوقفوا هذه المباراة الكلامية، إنني ضد الرأي الذي يقول إن الزمن ليس في صالحنا، وإن رجل الصندوق قد وصل إلى

المكان الذي تُريده العصابة … فقد عرفوا أن «ناهد» رأته، ولا بد أنهم سارعوا بإخراجه من الصندوق لفترة ما حتى يرَوا ماذا تفعل «ناهد»، وقد عرفوا الآن أنني أسكن معها أو أعرفها، وأنني حاولتُ الحصول على معلومات عن الصندوق. وأُؤكِّد لكم أن العصابة ستتحرَّك سريعًا لإخفاء كلِّ شيءٍ يتعلَّق بالصندوق وبمن كان فيه، وستتحرَّك أيضًا لإسكات «ناهد» وإسكاتي أيضًا!

أحسَّ الأصدقاء بالرهبة أمام حديث «تختخ»؛ فمعنى ذلك أنه هو و«ناهد» مُعرَّضان لخطرٍ جسيم قد يقع في أية لحظة، وقالَت «لوزة»: إن مُهمَّتنا الأساسية في هذه الحالة هي المحافظة عليكما!

تختخ: إنني بالطبع مُهتَم بسلامة «ناهد»، وقد اتفقتُ معها ألَّا تستجيب إلى أي نداء لإخراجها من منزلهم إلا إذا سمعَت كلمة السر مني — وبالطبع منكم — وهي كلمة «الوردة»؛ إشارةً إلى الوردة التي رسمَتها على الصندوق، والتي لا أظن أن العصابة سوف تلتفت إليها … وستكون دليلا هامًّا عندنا إذا استطعنا الحصول على الصندوق.

وفي هذه اللحظة دقَّ جرس التليفون، وكان المتحدِّث هو المفتش «سامي» الذي طلب الحديث إلى «تختخ» … وكفَّ الأصدقاء عن الحديث، وأخذوا يُراقبون وجه «تختخ» ليرَوا آثار المكالمة على وجهه … وبعد دقيقة أشار «تختخ» لـ «لوزة» أن تُحضر ورقةً وقلمًا، فأسرعَت بإحضارهما، وأخذ «تختخ» يكتب، وكان من الواضح أن المفتش يُملي عليه شيئًا، ثم سمعوا «تختخ» يقول للمفتش: شكرًا لك … إن هذا يُعطينا فرصةً واسعةً للعمل.

ووضع «تختخ» السمَّاعة، ثم التفت إلى الأصدقاء قائلًا: أمس قالَت لي «ناهد» شيئًا، وقد طلبتُم معرفته ولكني أخفيتُه عنكم … والآن أستطيع أن أقوله لكم … لقد أخبرتني «ناهد» أن شخصًا اتصل بها وقال لها إن رجل الصندوق يقوم بمُهمَّةٍ في سبيل الوطن، وطلب منها ألَّا تقول لأي إنسان شيئًا عن هذه المعلومات … ورأيتُ أن أُخفي هذه المعلومات لأنها لو كانَت صحيحةً فمن الأفضل فعلًا ألَّا يعرفها أحد … حتى ولا المغامرون الخمسة؛ فمصلحة الوطن فوق كل شيء … وقد أبلغتُ المفتش «سامي» بهذا، فاتصل بالجهات المسئولة التي نفَت هذه المعلومات، وهكذا أصبح من حقكم أن تعرفوا، ومن هذا أيضًا يتأكَّد لنا أننا أمام عصابةٍ خطيرةٍ وقوية، ولا يردعها شيء في سبيل المحافظة على أسرارها.

وسكت «تختخ» عندما لاحظ نظر الأصدقاء مُوجَّهًا إلى الورقة التي كتبها، فرفعها أمامهم قائلًا: أمَّا هذه الورقة فهي تحمل كشفًا بأسماء الأشخاص الذين تغيَّبوا عن منازلهم في الأسبوع الماضي، وقد طلبتُها من المفتش باحتمال أن يكون رجل الصندوق أحد المتغيِّبين عن مساكنهم الذين أبلغ أهلُهم عنهم …

وأخذ «تختخ» يقرأ الكشف ... ويُناقش مع الأصدقاء كل اسم واحتمال أن يكون هو رجل الصندوق. وكان الكشف يحتوي على تسعة أسماء، بينها ثلاثة أطفال، وسيدتان، وأربعة رجال أحدهم في السبعين من عمره، وقد استبعد الأصدقاء طبعًا الأطفال والمرأتَين والرجل العجوز، وكتب كلٌّ منهم كشفًا بأسماء الرجال الثلاثة الآخرين ... وقد كان بينهم واحد يسكن في المعادي ... ممَّا دفع الأصدقاء إلى التوقُّف أمام اسمه طويلًا.

كان اسمه «علَّام القاضي»، وهو ثري يُقيم مع زوجته، وليس له أولاد، في الأربعين من عمره، وعنوانه ١٩ شارع ٩٦، وسرعان ما كان «محب» و«عاطف» يستعدَّان للذهاب إلى العنوان لجمع المعلومات عنه. أمَّا الشخصان الآخران فكان أحدهما يُدعى «فتحي عوض» من شارع «كلوت بك»، ولفت نظر «تختخ» قرب العنوان من شارع «نجيب الريحاني» حيث تُوجد «شركة النقل العالمية»، فأخذ على عاتقه مهمَّة الحصول على المعلومات اللازمة عنه.

أمَّا الثالث فكان يُدعى «علي أبو العينين»، ويسكن في شارع «شبرا» رقم ٥٤، وقد ضمَّه «تختخ» إلى مسئولياته قائلًا: ما دمتُ سأذهب إلى «القاهرة»؛ فمن الأفضل أن أقوم بالمهمَّتَين في وقتٍ واحد.

ناهد: أليس لي دور معكم؟

تختخ: إن لكِ أهم دور ... كوني قريبةً من التليفون باستمرار ... إن كل مكالمة تصلكِ ستكون مُهمَّةً جدًا.

والتفتَ إلى «لوزة» فقالَت: لقد عرفتُ مُهمَّتي ... سأبقى أطول فترة ممكنة بجوار «ناهد»! وابتسم «تختخ» وربت على كتفها قائلًا: إنكِ دائمًا تقرئين أفكاري.

أمَّا «نوسة» فقالَت: سأعود الآن إلى مُهمَّة إعداد الأرشيف الخاص بالمغامرين الخمسة.

ناهد: ما معنى أرشيف؟

محب: إنه جمع الأوراق الخاصة بعملٍ ما وتنظيمها للرجوع لها عند الحاجة. و«نوسة» تقوم بجمع الحوادث التي تنشرها الجرائد، والمعلومات الخاصة بالمجرمين، وصورهم، وتنظيمها؛ للعودة إليها عند الحاجة.

وفجأةً قفز «تختخ» واقفًا وقال: كيف نسينا؟!

ماذا نسينا؟

تختخ: الشاويش ... إن معلوماته عن السائق من أهم ما يمكن!

المكالمة التليفونية

أسرع «تختخ» لمقابلة الشاويش، وانفضَّ الاجتماع، فقام «محب» و«عاطف» بالاتجاه إلى الشارع ٩٦ حيث يسكن «علَّام القاضي» الذي أخبرهم المفتش عن اختفائه، وذهبَت «نوسة» إلى المنزل للعمل في الأرشيف، وكانَت قد قضَت بضعة أيام لا تعمل فيه بسبب إصابتها بالبرد. واتجهَت «لوزة» مع «ناهد» إلى منزلها لتبقى بجانبها، فجلستَا في الحديقة حتى بدأ الظلام يهبط ... فقرَّرتَ «لوزة» العودة إلى منزلها.

ولم تكَد «ناهد» تصل ومعها «لوزة» إلى باب الحديقة حتى ظهر «سيد» الطبَّاخ يُطل من الباب ويقول لها: تليفون لكِ يا «ناهد».

أسرعَت «ناهد» ومعها «لوزة» إلى صالة «الفيلا» ... وكانَت سمَّاعة التليفون ملقاةً بجواره، فأسرعَت «ناهد» ترفعها إلى أذنها وفمها وقالت: ألو ... ولكن أحدًا لم يرد ... عادَت تصيح: ألو! ... ولكن بدلًا من أن تسمع أحدًا يُحدِّثها، سمعَت مجموعةً من الأصوات تتحدَّث، وكادَت تضع السمَّاعة لولا أنها سمعَت كلمة «صندوق» تتردَّد في التليفون ... وتنبَّهت فورًا، وأشارَت إلى «لوزة» أن تقترب وتسمع معها ...

وسمعتا صوتًا يقول: نحرق الصندوق ... وسكت الصوت قليلًا، ثم عاد يقول: ولكن ذلك قد يلفت نظر الناس ... معقول ... وعاد الصوت يبتعد ... ثم عاد يقول: والآن اذهبوا أنتم ... العنوان كما تعرفون عند «الاستاد» ... ثم صمت لحظات وعاد يقول: في المعادي طبعًا ... وخذوا السيارة الزرقاء ...

قالت «لوزة» بصوت منخفض: ضعي السمَّاعة بهدوءٍ شديد.

ووضعَت «ناهد» السمَّاعة، وقالَت «لوزة»: إنها صدفة غير معقولة ... لقد فهمتُ من المكالمة أنهم يُريدون التخلُّص من الصندوق ... ألم تفهمي ذلك؟ وقبل أن ترد «ناهد»

دقَّ جرس التليفون مرةً أخرى، ورفعَت «ناهد» السمَّاعة، وسمعَت من يطلبها فقالَت: أنا «ناهد»!

وسمعَت صاحبَ الصوت يقول: لقد علمنا أن ولدًا سمينًا قد عرف بعض الأشياء عن حكاية الصندوق ... ألم نُنبِّه عليكِ ألَّا تقولي لأحد؟

لم تردَّ «ناهد»، فعاد صاحب الصوت يقول: هذه آخر مرة نُنبِّهك ... ونحن نعرف أن هذا الولد يسكن قريبًا منك، وأن له هواية حل الألغاز والاشتراك في المغامرات، فاطلبي إليه أن يبتعد عن طريقنا ... إن ما نقوم به لمصلحة الوطن؛ فلا داعي لأن يتدخَّل ... وإلا ... ووضع الرجل السمَّاعة، فأغلقَت «ناهد» التليفون والتفتَت إلى «لوزة» التي كانَت هي الأخرى قد استمعَت إلى المكالمة.

قالت «لوزة»: لقد نسي سمَّاعة التليفون مرفوعةً في المكالمة الأولى ... وهكذا عرفنا معلومات على أكبر جانب من الأهمية ... فهم سيُحاولون التخلُّص من الصندوق الليلة، وهذا الصندوق أكبر دليل لدينا ... فماذا نفعل؟

ناهد: يجب الاتصال أولًا ب «تختخ» و«محب» و«عاطف» و«نوسة» لاستشارتهم، ثم نتصرَّف على ضوء هذه المناقشة.

لوزة: أعرف ذلك ... ولكني أخشى ألَّا نجدهم! على كل حال لنتصل أولًا.

واتصلَت «لوزة» بمنزل «تختخ» فلم تجِده قد عاد بعد، وكذلك «محب» و«عاطف» ... فسردَت ل «نوسة» ما سمعَته هي و«ناهد» عن الصندوق في التليفون، وسألَتها: ماذا نفعل الآن يا «نوسة»؟

ظلَّت «نوسة» صامتةً لحظات، ثم قالَت: إننا لا نعرف متى يصل رجال العصابة إلى المعادي ... وقد يصلون الآن ... والأصدقاء غير موجودين ... ويجب أن نتصرَّف نحن ... وسكتت لحظات، ثم قالَت: سأُقابلك الآن يا «لوزة»، واتركي «ناهد»، وأَوصيها أن تتصل بين فترة وأخرى ب «تختخ» و«محب» و«عاطف»، وتُحيطهم علمًا بما حدث ... أمَّا نحن فسنذهب إلى «الاستاد»، واتصلي بوالدتكِ وقولي لها إنكِ تسهرين معي هذا المساء ... لأن والدي ووالدتي مسافران.

لوزة: ولكن منطقة «الاستاد» واسعة جدًّا!

نوسة: سنبحث عن السيارة الزرقاء!

وشرحَت «لوزة» ل «ناهد» دورها: عليك بمداومة الاتصال بمنازلنا، وإخطار من تجدين من المغامرين الخمسة بالمكالمة التليفونية، وقولي إنني و«نوسة» قد ذهبنا للبحث

عن السيارة الزرقاء ... وسنُحاول أن نرى ماذا تفعل العصابة هناك، وسنحصل طبعًا على رقم السيارة، وكل ما يمكن جمعه من معلومات ...

ناهد: ولكن يا «لوزة» إنني خائفة عليكما!

ابتسمَت «لوزة» وقالَت: لا تخافي ... إنها مُهمَّة سهلة؛ فلن نتدخَّل في شيء، وأقصى ما نعمل أننا سنقف ونُراقب من بعيد ... ثم اتصلَت «لوزة» بوالدتها لتُطمئنها إذا تأخَّرَت، وقالَت لها: إن والدَي «محب» و«نوسة» مسافران، وسنسهر معهما ... ثم أسرعَت للقاء صديقتها.

انطلقَت «نوسة» و«لوزة» وقد أحسَّتا بالتشوُّق للمغامرة المقبلة؛ فهما منذ فترة طويلة لم تشتركا في عمل معًا ... وقد جاءت الفرصة ...

وبينما كانتا متجهتَين إلى ناحية «الاستاد»، كان «تختخ» يركب القطار من محطة باب اللوق في «القاهرة» عائدًا إلى المعادي ... وفي ذهنه يدور شريط الأحداث التي مرَّ بها في ذلك اليوم منذ ترك الأصدقاء وذهب إلى الشاويش، ثم إلى «القاهرة» للحصول على معلومات عن الشخصَين اللذَين تغيَّبا؛ «فتحي عوض» من شارع «كلوت بك»، و«علي أبو العينين» من شارع «شبرا».

كانَت مقابلته مع الشاويش ناجحةً إلى حدٍّ ما برغم أن الشاويش لم يردَّ على كل الأسئلة التي وجَّهها إليه «تختخ» عن السائق الذي أوصله إلى المعادي، والذي حذَّره الشاويش منه ... كانَت المعلومات التي حصل عليها من الشاويش أن السائق — كما يتذكَّر الشاويش — مشهور باسم «طفاشة»، وهو من ذوي السوابق الخطرين ... وقد عرفه الشاويش في بداية حياته مُتهمًا في قضية سرقة، وأنه دخل السجن لمدة ثلاث سنوات، ثم خرج ... ولا يعرف الشاويش شيئًا آخر عنه، ولكن هذه المعلومات على كل حالٍ كانَت كافيةً لتُؤكِّد لـ «تختخ» أنه وقع على عصابةٍ خطيرة من الأشرار.

أمَّا رحلته إلى شارع «كلوت بك» وشارع «شبرا» فكان نصيبهما الإخفاق؛ فلم يحصل على معلومات ذات أهمية ... ولكن كان يُرجِّح أن الرجلَين الغائبَين ليس لهما علاقة برجل الصندوق ... فأحدهما ضعيف العقل وكثيرًا ما يتغيَّب عن منزله ... والثاني تغيَّب بعد مشاجرةٍ بينه وبين أُسرته، ولعله يعود ما بين يوم وآخر.

وتذكَّر «تختخ» مُهمَّة «عاطف» و«محب» في المعادي ... لقد ذهبا للحصول على معلومات عن «علَّام القاضي» الثري الذي يسكن في المعادي ... فلعل «علَّام القاضي» هذا هو رجل الصندوق ... ربما ...

وعندما وصل إلى المعادي اتجه إلى منزله ... لقد كانَت الساعة قد تجاوزَت الثامنة والنصف ليلًا، وقرَّر الاتصال بالأصدقاء تليفونيًّا ليعرف أخبارهم.

وعندما وصل أسرع إلى التليفون، وطلب منزل «عاطف» و«لوزة»، ولكن لم يجِدهما هناك، وكذلك اتصل بـ «محب» و«نوسة»، ولكنه أيضًا لم يجِدهما ... ودُهش «تختخ»، ولكنه ظنَّ أنهم جميعًا ربما ذهبوا إلى «الكورنيش» للنزهة كما اعتادوا ... فبدأ يخلع ثيابه عندما ظهرَت الشغَّالة وقالَت له إن «ناهد» اتصلَت به أكثر من مرة، وتُريده أن يتصل بها بمجرَّد وصوله، وقد كان في نيته فعلًا أن يتصل بها بعد أن يرتاح قليلا، ولكن حديث الشغَّالة جعله يعود إلى التليفون مرةً أخرى ويتصل بـ «ناهد». ولم تكَد ترد عليه حتى سألها عن الأصدقاء، فروَت له ما حدث، وكيف سمعَت المكالمة التليفونية، وحديث الرجل إلى أعوانه أن يذهبوا للتخلُّص من الصندوق قرب «الاستاد»، والسيارة الزرقاء التي سيذهبون فيها، وذهاب «لوزة» و«نوسة» إلى هناك لمتابعة ما يحدث.

قفزَت إلى ذهن «تختخ» بعد سماع هذه المعلومات عشرات من الاستنتاجات والمخاوف، ثم سمع «ناهد» تقول له: «تختخ» ... هل ما زلتَ تسمع؟

ردَّ «تختخ»: نعم.

ناهد: ماذا تفعل؟

تختخ: سأذهب للبحث عنهما فورًا ... لقد كان تصرُّفًا أحمق منهما أن يذهبا في هذا الظلام لمطاردة عصابة خطيرة وشريرة مثل عصابة «رجل الصندوق»!

ناهد: ولكنهما لم يقولا إنهما سيُطاردان العصابة.

تختخ: إنني أعرفهما ... وبخاصةٍ «لوزة»، سوف تندفع إلى المخاطرة، وأخشى كثيرًا أن تتعرَّضا لمتاعب قاسية.

لم تردَّ «ناهد»، فعاد «تختخ» يقول: إذا لم أتصل بكِ خلال ساعة من الآن، أو لم تتصل بكِ «نوسة» و«لوزة»؛ فاتصلي بالمفتش «سامي» وقولي له إنكِ صديقة لنا، واروي له كلَّ ما حدث.

ثم أعطاها رقم تليفون المفتش، ووضع السمَّاعة، وعاد يرتدي ما كان قد خلعه من ثيابه، وقفز خارجًا إلى درَّاجته، ومرَّ بـ «زنجر» فصفَّر له، وسرعان ما كان الكلب الأسود الشجاع يقفز إلى مكانه في السلة التي بظهر الدرَّاجة، وانطلقَا في الظلام في اتجاه «الاستاد».

كانَت الريح التي هبَّت تلك الليلة على غير انتظار تضرب وجه «تختخ» وشعره يتطاير معها ... وذهنه يعمل بسرعةٍ خارقة ... شيء ما في المكالمة التليفونية لم يكن يُعجبه، شيء

لا يرتاح إليه ... وتذكَّر «محب» و«عاطف» ... لماذا لم يعودا هما أيضًا؟! أين ذهبا؟! لماذا تأخَّرا حتى الآن؟! إن المُهمَّة التي ذهبا من أجلها كانَت بسيطةً ولا تستحق كلَّ هذا الغياب، ولو أنهما هما اللذان ذهبا مكان «نوسة» و«لوزة» ما كان منزعجًا مثل انزعاجه الآن ...

واقترب من مكان «الاستاد»، وبدأ قلبه يخفق ... هل يجد «نوسة» و«لوزة»؟ وكانَت المنطقة مظلمةً وموحشة ... فهي بعيدة عن العمران ... وتذكَّر مغامرة «الرجل الذي طار» ... لقد دار جزء منها في هذا المكان، وكان جزءًا خطيرًا من المغامرة.

دار «تختخ» حول «الاستاد» مرةً بدون أن يرى شيئًا مُثيرًا للانتباه، وأحسَّ بقلبه يقع في قدمَيه ... لقد حدث شيء مُخيف لا يدري ما هو ... ولكن ... ألَا يمكن أن تكون «نوسة» و«لوزة» قد عادتَا الآن إلى منزلَيهما، ويكون تشاؤمه لا داعي له؟

وقرَّر أن يذهب إلى أقرب تليفون ويتصل بهما ... وأسرع عائدًا بدرَّاجته إلى أقرب محلٍّ مفتوح، ولكن قبل أن يصل إليه — ومن أحشاء الظلام — برز شخص أمام الدرَّاجة ... لم يستطِع «تختخ» أن يتفاداه إلا بعد أن استخدم الفرامل بشدة، وكاد يسقط على الأرض لولا أن استند بسرعةٍ على عمود نور قريب ... وقال له الرجل: آسف جدًّا يا أستاذ، ثم انحنى على الأرض ومدَّ يده بشيء إلى «تختخ» قائلًا: يبدو أن ثمَّة شيئًا قد سقط منك في الظلام.

واختفى الرجل كما ظهر بدون أن يترك لـ «تختخ» فرصةً للحديث معه، وكان الشيء الذي أعطاه لـ «تختخ» ورقةً مطوية ... أسرع «تختخ» بفتحها بأصابع مرتجفة؛ فقد أدرك أن فخًّا قد دُبِّر له وقد صحَّ ما توقَّعه؛ فقد كان في الورقة بضعة سطور جعلَت الأرض تميد تحت قدمَيه: «حذار ... إننا نُنذرك ألَّا تتدخَّل في شئوننا؛ فنحن نُراقبك طول الوقت ... ونُراقب أصدقاءك طبعًا، وقد عرفنا كلَّ شيء عنكم ... والفتاتان الصغيرتان عندنا لنُؤكِّد لكَ أننا لا نهزل، وأن المسألة ليسَت مجرَّد لعب أطفال، وحذارِ من إبلاغ الشرطة وإلا ...»

وردة، أرشيف، ٢٥

وقف «تختخ» يُحدِّق في الظلام حوله ... كان يشعر بأن الدنيا تدور به، وأن عصابة «رجل الصندوق» أخطر من أن يُواجهها المغامرون الخمسة ... وأن الموقف الآن رهيب بعد أن وقعَت «لوزة» و«نوسة» في يد العصابة ... وسمع «زنجرَ» يزوم في الظلام فقال له: هذه المرة نحن في موقف سيئ جدًّا يا «زنجر»، وليس لكَ عمل تقوم به.

عاد «زنجر» يزوم في الظلام، واستمدَّ «تختخ» من رفقة كلبه المحبوب شعورًا بالثقة أخذ يُسيطر عليه تدريجيًّا، وبدأ ذهنه يصفو ... ويُفكِّر فيما ينبغي عمله ... لقد أصبح واضحًا أن المكالمة التليفونية التي استمعَت إليها «لوزة» و«ناهد» كانَت مُدبَّرة ... ولم يكن سهوًا من العصابة أن تترك الخط مفتوحًا بحيث تستمع الصديقتان إلى الحديث ... لقد كان ذلك مقصودًا لإيهام من يستمع بأنه عرف تحرُّكات العصابة. وقد نجحَت الخطة تمامًا ... وتصوَّرت الصديقتان الصغيرتان أنهما وقعتا على طرف خيط يُؤدِّي إلى معرفة مكان العصابة، فأسرعتا إلى منطقة «الاستاد» الموحشة، وكان سهلًا جدًّا على العصابة أن تختطف الفتاتَين الصغيرتَين ببساطةٍ في هذا الظلام.

والآن ما العمل؟!

هكذا كان «تختخ» يُفكِّر ... ولو كانَت العصابة قد أسرَت «محب» و«عاطف» لاختلف الأمر؛ فقد وقعا من قبلُ في مآزق، واستطاعا الخلاص منها ... أمَّا «لوزة» و«نوسة» ... وتنهَّد «تختخ»، ولكنه ظلَّ يُفكِّر في هدوء ... ثم قرَّر في النهاية أن يعود للبحث عن «محب» و«عاطف»؛ فقد يكونان قد عادا، وبعدها يبدءون معًا التفكير في الخطوة التالية.

وأسرع عائدًا ... وأحسَّ ببعض الطمأنينة عندما شاهد غرفة «محب» مضاءة، وسرعان ما أطلق نعيق البومة تحت نافذته ... وهو الصوت المتفق عليه بين المغامرين الخمسة لتبادل الإشارات.

نزل «محب» مسرعًا ففتح الباب لـ «تختخ» الذي اندفع صاعدًا إلى غرفة «محب» وهو يسأل: هل «عاطف» معك؟

محب: نعم ... ما هي الأخبار؟ لقد روَت لنا «ناهد» قصة المكالمة التليفونية منذ دقيقة واحدة، وكدنا نلحق بـ «لوزة» و«نوسة» إلى منطقة «الاستاد» لولا حضورك ... ماذا فعلت؟

ردَّ «تختخ» وهو يُلقي بنفسه على كرسي في غرفة «محب»: لا شيء أكثر من أنهما وقعتا في أيدي العصابة!

صاح «عاطف» منفعلًا: ماذا تعني؟!

تختخ: ما قلتُه بالضبط ... سقطَت الفتاتان في أيدي العصابة.

محب: كيف؟!

تختخ: لا أدري ... لكن من الواضح أن المكالمة التليفونية التي استمعَت إليها «ناهد» و«لوزة» كانَت مكالمةً مصطنعة، وأن العصابة خطيرة، وزعيمها ذكي وداهية ... وقد أوقعوا الفتاتَين بحيلة بسيطة جدًّا.

محب: وماذا وجدتَ في منطقة «الاستاد»؟

تختخ: الحقيقة أنني وقعتُ أنا الآخر ضحية عملية بسيطة؛ فقد خرج شخص من الظلام وأنا أبحث عن «لوزة» و«نوسة» واصطدم بي، ثم أعطاني ورقة قال إنها وقعَت مني ... وقبل أن أُفكِّر فيما حدث، اختفى الرجل كأنما انشقَّت الأرض وابتلعَته!

وأخرج «تختخ» الورقة وناولها لـ «محب» الذي أخذ يقرأ بصوتٍ مرتفع نصَّ إنذار العصابة إليهم.

وبعد أن انتهى «محب» هبط صمت ثقيل على الثلاثة ... فقد كان واضحًا أن تحديد الخطوة التالية ليس مسألةً سهلة.

قال «عاطف»: تعالَوا نذهب فورًا إلى مقر «الشركة العالمية للنقل» ... وسنُمسك بمن نجده هناك ونخنقه حتى يعترف.

تختخ: هذا ما فكَّرتُ فيه ... ولكن الشركة الآن أغلقَت أبوابها ... فنحن بعد العاشرة، ولا أظن أنها تفتح الآن أبوابها.

وهكذا أُغلق الباب الوحيد فعلًا لمحاولة الاتصال بالعصابة، وعاد الصمت يُخيِّم على الأصدقاء الثلاثة ... ولكنه صمت لم يستمرَّ طويلًا ... فقد سمعوا صوت التليفون وهو يدق في الدور الأول، وأسرع «محب» للرد عليه ... وعندما عاد كان يمسكه في يده ... وكانَت المكالمة من والدة «عاطف» تسأل عنه وعن شقيقته، فقال «تختخ» لـ «عاطف» بصوتٍ هامس: قل لها إنكما قد تقضيان الليلة هنا.

وأمسك «عاطف» بسمَّاعة التليفون ويده ترتجف ...

لقد كان مُضطرًّا للكذب، وهي مُهمَّة شاقة لا يُجيدها ولا يُحبها، ولكن لم يكن هناك حل آخر لتغطية غياب «لوزة» ... ولم تشكَّ الوالدة في حديث «عاطف»؛ فقد قالَت له: ولكن ليس معك «بيجامة» ولا «لوزة»!

عاطف: سآخذ «بيجامةً» من «محب»، وتأخذ «لوزة» واحدةً من «نوسة»!

وأخذ قلبه يدق خوفًا من أن تطلب والدته أن تُكلِّم «لوزة»، ولكن لحسن الحظ انتهَت المكالمة، وتنفَّس «عاطف» الصُّعَداء.

قال «محب»: الحمد لله أن والدَي مسافران؛ وإلا لوقعنا في أزمة خطيرة!

تختخ: والمهمة التي قمتما بها ... ألم تُؤدِّ إلى شيء؟ ولماذا تأخَّرتما؟

محب: لقد انتهَت المهمَّة بالنجاح.

قفز «تختخ» واقفًا وقال: بالنجاح! ... إذن لدينا خيط هام إلى العصابة! لماذا لم تقُل هذا قبل الآن؟! إنها فرصتنا الوحيدة ... إننا ...

رفع «عاطف» يده وأطلق صفيرًا من فمه كحكم في مباراة كرة قدم وصاح: قف! ... ما هذا؟ لقد اندفعتَ كالصاروخ، ووصلتَ إلى استنتاجات ليسَت صحيحة ... إن المهمَّة انتهَت بالنجاح لأننا عثرنا على الرجل فعلًا ... ولكن اتضح أنه ليس له أية علاقة بالعصابة ... المسألة كلها أنه سقط وهو يسير في أحد الشوارع وأُصيب بارتجاجٍ في المخ وفقدٍ مُؤقَّت للذاكرة ... وقد بدأنا البحث ...

ولكن «تختخ» انتهز الفرصة ليردَّ على «عاطف»، فرفع يده قائلًا: قِف! ليس هذا وقت حكاية مغامراتكما التي انتهَت بالنجاح ... ما دام الرجل ليس له علاقة بالعصابة وما نحن فيه من ألغاز!

سكت «عاطف»، وعاد الأصدقاء الثلاثة يُنكِّسون رءوسهم إلى الأرض وهم في حَيرة من أمرهم عندما قال «تختخ»: الخيط الوحيد الذي في يدنا الآن هو أن نذهب لمقابلة الشاويش «فرقع»، ونأخذ منه كلَّ المعلومات التي يعرفها عن السائق المدعو «طفاشة»، ثم نُتابع «طفاشة» هذا بواسطة المفتش «سامي» ورجاله ... هذا هو الحل الوحيد، وهذا العمل سيأخذ وقتًا طويلًا، علمًا بأن العصابة حذَّرتنا ... وهناك احتمال آخر.

محب: ما هو؟

تختخ: أن تتصل بنا العصابة ... فهذا هو المعتاد في حوادث الخطف ... فالعصابة قد خطفَت الفتاتَين ... فماذا تُريد؟ لا بد أن تتصل بنا.

ولم يُكمل «تختخ» حديثه حتى دقَّ جرس التليفون، فصاح «محب»: لا بد أنها العصابة!

ولكن المكالمة كانَت من «ناهد»، وأسرع «تختخ» يتحدَّث إليها ... قالَت «ناهد» بصوتٍ مُتقطِّع الأنفاس: الحمد لله أنني وجدتكم ... لقد اتصلتُ بك في البيت ولكن لم أجِدك.

تختخ: هل هناك شيء؟

ناهد: نعم ... لقد اتصلَت بي العصابة.

نظر «تختخ» إلى «محب» و«عاطف» نظرةً أدركا منها أن المكالمة مهمة جدًّا فاقتربا، وأخذا يستمعان بجواره، ومضَت «ناهد» تقول: لقد اتصلَت بي العصابة ... وقال لي أحدهم: إن الفتاتَين عندنا ... ولقد أرسلنا لكم إنذارًا استمعوا إليه. وهم يطلبون منا ألَّا نتصل بالشرطة مطلقًا لفترة ما، ثم يُطلقون سراح الفتاتَين وينتهي الأمر.

تختخ: ألم يقل لك شيئًا آخر؟

ناهد: لا ... ولكني طلبتُ الحديث إلى «نوسة» أو «لوزة» لأطمئن عليهما وقد تحدَّثتُ إلى «نوسة».

تختخ: عظيم جدًّا! ... أنتِ مغامِرة ممتازة!

ناهد: وقد اطمأننتُ عليها ... وفي آخر الحديث قالَت لي «نوسة» ثلاث كلمات فهمتُ واحدةً ولم أفهم الباقي.

دقَّ قلب «تختخ» سريعًا؛ فقد أدرك أن «نوسة» تُرسل إليه رسالةً سريةً قد تُفيد، فقال: ما هي الكلمات الثلاث؟

ناهد: قالَت لي «الوردة»، وقد فهمتُ فهي كلمة السر بيننا ...

تختخ: الكلمة الثانية؟

ناهد: الأرشيف.

تختخ: والثالثة؟

ناهد: ٢٥.

تختخ: لا شيء آخر؟

ناهد: لا ... لا ... لا شيء آخر.

تختخ: أشكرك جدًّا ... أنت ممتازة!

ناهد: وماذا تعني هذه الكلمات؟

تختخ: إنها تعني كثيرًا ... وسأشرح لكِ ذلك فيما بعد.

وأغلق «تختخ» السمَّاعة ... وصاح بـ «محب»: أين الأرشيف الذي تُعده «نوسة» من الحوادث التي تُنشر في الجرائد؟

محب: إنه في دولاب بغرفة نومها.

واندفع الأصدقاء الثلاثة إلى غرفة «نوسة» فكادوا يصطدمون بالشغَّالة التي حضرَت تحمل لهم بعض «السندوتشات» والشاي، وقالَت الشغَّالة: أين «نوسة» يا أستاذ «محب»؟

محب: مع «لوزة»، و«لوزة» مع «نوسة» ... و...

الشغَّالة: لقد أحضرتُ لكم بعض الأطعمة الخفيفة والشاي.

محب: شكرًا لك ... ضعيها على مكتبي.

ودخل الثلاثة غرفة «نوسة»، وفتحوا الدولاب، وأخرجوا مجموعة الملفات التي كُتب على كلٍّ منها نوع الجريمة ... خطف ... سرقة ... نصب ... جرائم متنوعة ... إلى آخره.

قال «عاطف»: هل نبحث عن شيء مُعيَّن؟

تختخ: افتحوا صفحة ٢٥ في كل ملف، واقرءوا ما تجدون.

وأمسك كل واحد بملف، وفتحوا صفحة ٢٥، وقال «عاطف»: قصاصة من جريدة «الأخبار» ... وقعَت أمس سرقة في منزل أحد القضاة ... وقد استطاع اللصوص سرقة مجموعة من الأشياء الثمينة، ولم يتركوا أي آثار يمكن أن تدل عليهم ... ويقوم رجال الشرطة الآن ...

تختخ: لا أعتقد أن لهذا علاقةً بموضوعنا ... وكذلك الموضوع الذي أقرؤه في هذا الملف ... فهو عملية نصب قام بها نصَّاب على أحد الفلَّاحين في ميدان باب الحديد.

محب: وهذه قضيةُ خطف رجل في الصعيد ... وقد خطفه الجُناة طمعًا في الفدية.

تختخ: قد يكون هذا هو الرجل المطلوب ... أرني هذا الملف!

وأخذ «تختخ» يقرأ الحادثة ... ولكن «عاطف» الذي كان يقف بجواره قال: لا يمكن أن يكون هذا هو الرجل المطلوب!

تختخ: لماذا؟

عاطف: لأن تاريخ الجريدة لاحق لعثور «ناهد» على رجل الصندوق؛ أي إن الحادث وقع بعد حادث رجل الصندوق.

قال «تختخ» بضيق: معك حق ... لقد توقَّعتُ أن يكون هذا هو الحادث الذي تُريد منا «نوسة» أن نعرفه ... ولكن ...

محب: بقي ملف جرائم متنوعة.

وأمسك «تختخ» بالملف، وفتح الصفحة رقم ٢٥، ولم يكَد ينظر فيها حتى صاح: عظيم! يا سلام يا «نوسة» على ذكائك! ... لقد وقعنا على ما نبحث عنه.

عاطف: ما هو؟

تختخ: انظر!

بين السماء والأرض

نظر «محب» و«عاطف» إلى حيث أشار «تختخ» ... كانَت هناك قصاصة من جريدة «الأهرام» ملصقة بعناية على صفحةٍ من الورق الأبيض، وكان بها صورة وعنوان كبير مكتوب فيه «مجرم خطير يهرب من حارسه».

وأخذ «تختخ» يقرأ المعلومات بصوتٍ مرتفع: هرب أمس مجرم خطير من حارسه ... المجرم يُدعى «همَّام قناوي»، وهو متهم في جريمة قتل ... وقد سبق القبض على «همَّام» في جرائم سرقة بالإكراه وخطف، واستطاع الهرب من سجنه ... وتمَّ القبض عليه بعد معركة حامية في الجبل، وأُودع السجن تمهيدًا لمحاكمته ... وأمس في أثناء نقله من السجن إلى المحكمة استطاع مغافَلَة حرسه والجري، وكانَت هناك سيارة في طريق جانبي في انتظاره قفز إليها وانطلقَت به قبل أن يلحق به الحُرَّاس.

وقد أحدث هرب «همَّام» انزعاجًا شديدًا في مختلِف دوائر الأمن العام، وقد وُزِّعَت نشرة بأوصافه، كما وافتنا إدارة المباحث الجنائية بصورة له ننشرها هنا. وقد دعَت وزارة الداخلية المواطنين الاشتراك في مطاردته بالإدلاء عن أية معلومات تُؤدِّي للقبض عليه، وخصَّصَت ١٠٠ جنيه لهذا الغرض.

ثم قرأ «تختخ» أرقام التليفونات التي أوردتها الوزارة للاتصال بها والإدلاء بالمعلومات التي تتوافر للمواطنين.

قال «عاطف»: لا أدري ما صلة المجرم الهارب بما نحن فيه ... هل تقصد أن هذا المجرم هو رجل الصندوق؟

تختخ: لا شك في هذا ... إن «همَّام قناوي» هو رجل الصندوق!

عاطف: وكيف توصَّلتَ إلى هذا الاستنتاج العجيب؟!

تختخ: سأقول لك ... واضح أن «نوسة» شاهدَت هذا الرجل ضمن رجال العصابة عندما اختطفوها ... وإذا نظرتَ إلى العينَين والحاجبَين فستعرف أنه رجل الصندوق ... فأنا أذكر أن «ناهد» وصفَت ما رأَته، وبأن له حاجبَين كثيفَين، أحدهما مقطوع ... وهذا هو الحاجب المقطوع.

وأشار «تختخ» إلى الصورة، ثم قال: إنه ليس واضحًا جدًّا هنا ... ولكن نظرةً مُدقِّقةً تُؤكِّد أنه هو ... وهكذا استخدمَت «نوسة» الذكية اتفاق الكلمة السرية لتُؤكِّد أن المعلومات التالية للكلمة تخص اللغز الذي نعمل فيه ... وهكذا أشارَت إلى الأرشيف، وإلى الصفحة ... ولا أدري ماذا فعلَت العصابة ... هل سمعَت ما قالَته «نوسة» وعاقبَتها أو لا؟

محب: في إمكاننا أن نتصل بـ «ناهد» الآن وندعها تُشاهد هذه الصورة لتتأكَّد.

تختخ: أُؤكِّد لكَ أن هذا الرجل هو رجل الصندوق ... ولا داعي لإضاعة الوقت.

عاطف: وماذا نفعل؟

في تلك الأثناء كانَت «لوزة» و«نوسة» تجلسان في غرفةٍ مغلقة، وكانَت العصابة بعد اختطافهما قد ربطَت عيونهما حتى لا تعرفا أين تذهبان، ولم تفكَّ الرباط إلا بعد أن دخلتَا إلى الغرفة.

نظرَت «نوسة» حولها، ثم قالَت: وهكذا وقعنا ببساطة ... فماذا نفعل الآن؟

لوزة: لا أدري، ولكن لعل المكالمة التليفونية قد وضعَت الأصدقاء الثلاثة على الطريق الصحيح ... وإن كان ذلك ليس سهلًا!

نوسة: لحسن الحظ أن العصابة لم تسمع ما قلتُه ... وإلا لتعرَّضتُ لعقاب شديد.

لوزة: أرجو أن يعرف الأصدقاء الثلاثة ما تقصدين.

نوسة: أعتقد أنهم سيفهمون ... ولكنهم إذا كانوا قد عرفوا رجل الصندوق، فلستُ أدري كيف يمكنهم الوصول إلينا في الوقت المناسب ... هذا إذا كانوا قد عادوا وعرفوا الرسالة ...

لوزة: وفي الوقت المناسب قبل هرب الرجل أو تهريبه؛ فلعلك لاحظتِ معنى الأقوال المتناثرة التي كان رجال العصابة يتبادلونها عند إحضارنا إلى هنا ... إنهم سيتحرَّكون في منتصف الليل!

قامَت «نوسة» وأخذَت تطوف بالغرفة ... كانت غرفةً فاخرة الأثاث ... وقد وضع لهما رجال العصابة كميةً من الفاكهة ودورقًا للماء ... وكان الجو حارًّا، والغرفة مغلقة الأبواب والنوافذ، فشعرَت الصديقتان بالضيق ... واقتربَت «نوسة» من النافذة وأخذَت تفتحها ...

وفي تلك اللحظة فُتح الباب وبدا على عتبته أحد أفراد العصابة وصاح بها: دعي النافذة! لا تقربي منها وإلا …

ردَّت «لوزة» بغضب: إننا سنختنق! … نُريد بعض الهواء! …

الرجل: افتحي الزجاج فقط.

وفتحَت «نوسة» الزجاج … واستطاعَت أن تسمع من بعيد ضجيج الشارع، وكان الرجل قد انصرف، فقالَت «نوسة»: إننا في مكانٍ قريب من وسط «القاهرة»؛ فهناك أصوات سيارات كثيرة تمر … ولكننا أيضًا في مكان مرتفع جدًّا؛ فالصوت يصل إلينا ضعيفًا … وفي الأغلب نحن في آخر دور في العمارة … فهذا الحر واضح أن سببه أن ما فوقنا هو السطح مباشرةً حيث تُسلِّط الشمس أشعتها طول النهار.

لوزة: هذه استنتاجات قيِّمة … ولكن ماذا نفعل بها؟

نوسة: قد نستفيد منها بشكلٍ أو بآخر.

واقتربَت «نوسة» من باب الغرفة وفتحَته بهدوء شديد. وفوجئَت بالحارس الذي يقف أمام الباب يثور ثورةً شديدة … ثم يُغلق الباب بشدة … وسمعَت صوت المفتاح وهو يدور في القفل.

وبدون تردُّد أسرعَت إلى النافذة، وبهدوء شديد فتحَت «الشيش» … ثم أطلَّت من النافذة، ورفعَت رأسها إلى فوق، ونظرَت إلى أسفل … كانَت استنتاجاتها كلها صحيحة … فقد كانَت في الدور الأخير من إحدى العمارات … وكانَت النافذة تفتح على الجزء الخلفي من العمارة … (المنور)، وكان الظلام يسوده … ولكن على الضوء البعيد القادم من الشارع المجاور استطاعَت أن ترى إفريزًا عريضًا يُحيط بالعمارة كلها تحت النافذة مباشرة … وخطر ببالها شيء شديد الخطورة، ولكن كان فيه الأمل الوحيد للخروج من المأزق.

قرَّرَت «نوسة» أن تنزل من النافذة إلى الإفريز وتسير عليه. كان من المحتمل أن تفقد اتزانها وتسقط في الشارع … وكان عليها أولًا أن تُقنع «لوزة» أنها فرصة بعد أن أعمى الغضبُ حارسَ غرفتهما فأغلق الباب عليهما بالمفتاح، وترك لهما حرية الحركة، وقد لا يستمر هذا كثيرًا.

استدارَت إلى الداخل وأشارَت لـ «لوزة» التي أقبلَت عليها مُتلهِّفة، فقالَت «نوسة»: «لوزة»، هناك مغامرة خطرة ولكن لا حلَّ إلا الإقدام عليها … انظري!

وأشارَت إلى أسفل النافذة، فتدلَّت «لوزة» هي الأخرى ونظرَت … ورأَت الإفريز، وبدون أن تُخبرها «نوسة» بما تنوي أدركَت «لوزة» كل شيء، وقالَت: هذه مغامرة خطرة جدًّا يا «نوسة» … إن العمارة قديمة … وقد يكون الإفريز متآكلًا فتسقطين في الشارع.

نوسة: إنني سأذهب وحدي!

لوزة: كيف؟

نوسة: إنني خائفة عليكِ يا «لوزة»، وواحدة منا تكفي للقيام بالمغامرة وحدها ... وكل المطلوب منك أن تُعطِّلي العصابة أطول فترة ممكنة؛ فهم سيفتحون الباب عاجلًا أو آجلًا ... فعليك بتعطيلهم، حتى أجد وسيلةً للتصرُّف.

بدَت «لوزة» مُتردِّدة، فقالَت «نوسة»: لا وقت للتردُّد يا «لوزة» ... تعالَي نُحرِّك هذا الكرسي الكبير ونضعه خلف الباب لتعطيل من يُحاول الدخول.

وبهدوءٍ شديد تعاونَت الصديقتان في حَمل كرسي كبير ووضعه خلف الباب، ثم تعانقتا في حبٍّ شديد ... وصعدَت «نوسة» إلى النافذة بمساعدة «لوزة»، وعندما وجدَت نفسها تنظر إلى أسفل اعتراها خوفٌ شديد، ولكنها تذكَّرَت نصيحةً قرأَتها يومًا: «إذا كنتَ تقف في مكانٍ مرتفع، وتخشى من الدوار، فلا تنظر إلى أسفل» ... وهكذا رفعَت رأسها إلى أعلى، ودلَّت قدمَيها حتى وصلتا إلى الإفريز ... وكانَت يدها ما تزال في يد «لوزة»، فأحسَّت بيد «لوزة» وهي تضغط يدها بحنان وتشجيع.

اختارَت «نوسة» أن تتجه إلى ناحية المنور المظلم بحثًا عن مواسير المياه، فإذا وجدَتها فإنها ستنزل عليها إلى أرض الشارع ... ومضَت تنقل قدمَيها واحدةً بجوار الأخرى في هدوءٍ وحذر ... وتذكَّرَت تحذير «لوزة» من أن يكون جزء من الإفريز متآكلًا فتسقط، واعترَتها رجفة ... ولكنها عاودَت السيطرة على أعصابها ... فعليها أكثر من واجب ... إنقاذ «لوزة» ... الإيقاع بالعصابة الشريرة، وبخاصةٍ أنها منذ فترةٍ طويلة لم تشترك في حل الألغاز اشتراكًا فعليًّا. وسارَت ببطء وحذر ... وكانَت أصوات السيارات تصلها على البعد، والأضواء القادمة من بعيد تُنير لها بعض الشيء ... وفجأةً وجدَت نفسها تصل إلى نافذة مضاءة بضوء خفيف ... كانَت عقبةً فعلية ... فليس من الممكن تجاوزها إلا بمخاطرة شديدة ... واقتربَت من النافذة بهدوء، واستجمعَت كل ما تملك من مرونة ومن ضبط الأعصاب، ونظرَت إلى داخل النافذة ... واستطاعَت أن ترى ركنًا من غرفة، ولم يكن في الركن أحد ... وفكَّرَت «نوسة» سريعًا ... عليها الآن إمَّا أن تُحاول تجاوز النافذة، وذلك خطر ليس بعده خطر ... وإمَّا أن تدخل الغرفة ولْيحدث ما يحدث.

وبعد لحظات تردُّد دارَت «نوسة» حول نفسها بحذر شديد ممسكةً ب «شيش» النافذة المفتوح حتى واجهَت الغرفة ... ووقع بصرها على فراش تنام فيه فتاة في مثل سنها وحدها ... ومدَّت «نوسة» قدمها، وخطَت داخل الغرفة، وسرعان ما كانَت بداخلها ... ووصل إلى

أذنَيها صوت تنفُّس الفتاة النائمة التي دارَت حول نفسها حتى واجهَت «نوسة» التي ارتفعَت دقَّات قلبها في انتظار ما سيحدث ... وقفَت لحظات، ولكن أنفاس الفتاة عادَت إلى الانتظام.

تحرَّكت «نوسة» بحذر داخل الغرفة، وكان بابها مواربًا، فنظرَت منه محاذرة، ووجدَت صالةً أنيقةً بها مصدر الضوء الخفيف ... ولم يكن هناك أحد ... فتقدَّمَت متجهةً إلى الباب على أطراف أصابعها ... كانَت تخشى أن يكون الباب مغلقًا بالمفتاح، وألَّا يكون المفتاح فيه ... ولكن لحسن الحظ كان المفتاح في الباب. وبينما هي تتقدَّم إلى الباب، خبطَت في كرسي، وبعد لحظة سمعَت صوتًا من الداخل يقول: ماذا تفعلين يا «ليلى»؟

كان واضحًا أن الأم تظن أن ابنتها في الصالة، فردَّت «نوسة» وهي تتظاهر بالسعال حتى لا يبدو صوتها متغيِّرًا: أشرب.

ووقفَت في مكانها كالتمثال لحظات ... ثم عاودَت التقدُّم من الباب في حذرٍ شديد وهي تنظر إلى مواضع قدمَيها، ثم مدَّت يدها إلى المفتاح، واستجمعَت كل ما تملك من ضبط الأعصاب، وأدارَت المفتاح ... ثم فتحَت «الترباس»، وخرجَت من الشقة وهي لا تُصدق أن كل هذا حدث ببساطة ... ثم أغلقَت الباب خلفها بهدوءٍ بعد أن تأكَّدَت من خلو الطريق.

كان هناك مصعد فأسرعَت إليه وفتحَت الباب ودخلَت ... وبينما هي تُغلق الباب وجدَت الشقة المجاورة يُفتح بابها، وشاهدَت أحد رجال العصابة يندفع إلى الخارج ... كان واضحًا أنهم اقتحموا الغرفة ولم يجدوها ... وأن المطاردة بدأَت بأسرع ممَّا تتوقَّع ... أغلقَت الباب سريعًا، ثم ضغطَت زر النزول، وأسرع المصعد نازلًا ... كان المصعد قديمًا بطيئًا، وخشيَت «نوسة» لو أن عضو العصابة ظنَّ أنها النازلة، ونزل على السلالم؛ لاستطاع اللحاق بها ... وقد كان شكُّها صحيحًا ... فقد استطاعَت أن تسمع في هَدْأة الليل صوت أقدام تقفز السلالم ... ولكن لم تكن من السرعة بحيث تستطيع أن تسبقها. ومضى المصعد يشق طريقه نازلًا ... وفي الطابق الثالث وجدَت شخصًا يقف على الباب ويُشير لها بالتوقُّف ... ولكنها لم تلتفت إليه ... ومضى المصعد ينزل ببطء وهدوء ... وكانَت «نوسة» تُحس أنه أبطأ من السلحفاة ... وأن الثواني ساعات طويلة، وكان المشي على إفريز العمارة قد أرهق أعصابها، وأحسَّت بالدماء تتصاعد في رأسها وتكاد تفجرها ... ومضى المصعد ... وأخيرًا ... أخيرًا جدًّا وصل إلى الطابق الأرضي. وفتحَت الباب مسرعةً وقفزَت إلى خارجه ... كان بينها وبين باب العمارة مدخل كبير، فأسرعَت تجري بكل ما تملك من قوة، وعندما

وصلَت إلى الباب التفتَت خلفها ... فاتسعَت عيناها رعبًا وهي ترى عضو العصابة القبيح الوجه يصل إلى أول السلَّم ويراها، ويصيح بها: انتظري!

ولكنها قفزَت إلى الشارع وأسلمَت ساقَيها للريح ... وخلفها الرجل يُحاول اللحاق بها.

المطاردة

كانَت الشوارع قد بدأَت تخلو من المارة بعد أن تجاوزَت الساعة منتصف الليل، وكان من السهل على عضو العصابة أن يرى «نوسة» وهي تجري محاوِلةً الوصول إلى أقرب شرطي، ولكن الرجل اقترب منها بدون أن تعثر على من تستغيث به … وكانَت قد اقتربَت من إشارة مرور … وكانَت الإشارة مضاءةً باللون الأحمر، ولكن عندما أصبحَت بجوارها تمامًا تغيَّرَت الإشارة إلى الأخضر … وكان بجوارها سيارة مُستعدَّة للانطلاق، فلم تتردَّد «نوسة»؛ فتحَت الباب وألقَت بنفسها داخل السيارة بدون كلمة واحدة! ولم يكن في استطاعة من تقود السيارة إلا الانطلاق بها … ونظرَت «نوسة» من الزجاج ورأَت عضو العصابة وهو يجري بجوار السيارة … ولكن عبثًا حاول؛ فقد انطلقَت كالسهم … وسرعان ما غاب وجهه عنها … وتنهَّدت في ارتياح.

كانَت السيدة التي تقود السيارة قد أفاقَت من دهشتها، ونظرَت إلى «نوسة» وفي عينَيها تساؤل واضح عن معنى ما حدث، فقالَت «نوسة»: آسفة جدًّا … إن ما حدث ليس تصرُّفًا مهذَّبًا أبدًا … ولكن كان هناك من يُطاردني!

لم يكن في منظر «نوسة» الرقيق الأنيق ما يُخشى منه، كذلك كانَت لهجتها صادقةً تمامًا، فقالَت السيدة: لقد رأيتُه يجري خلفك قبل ركوبك السيارة … وهذا ما دعاني إلى الإسراع بك … ماذا حدث؟

نوسة: إنها قصة طويلة … وكل ما أرجوه أن أنزل في أقرب مكان إلى ميدان «باب الخلق».

قالَت السيدة: سأوصلك!

ثم أدارَت عجلة القيادة، ومضَت السيارة الفاخرة تشق طريقها … وفي هذه اللحظة أدركَت «نوسة» أن صاحبة السيارة ليسَت غريبةً عنها … إنها وجه مألوف لديها، لم

تستطِع أن تتبيَّنه وهي مطارَدة وخائفة وفي ضوء السيارة الخفيف، أمَّا الآن … وبعد أن حدَّثَتها السيدة الرقيقة الجميلة، لم يكن هناك أدنى شك في أنها الفنانة العظيمة «فاتن حمامة»!

عندما تبيَّنَت «نوسة» هذه الحقيقة؛ دقَّ قلبها انفعالًا، ثم قالَت لـ «فاتن»: أنت … «فاتن»؟

ردَّت «فاتن» برقة: نعم!

نوسة: لقد تحقَّق لي الليلة أمنيتان غاليتان … أن أنجو من العصابة، وأن أراك!

فاتن: عصابة! … أي عصابة؟! إنك فتاة صغيرة جميلة، ما دخلكِ أنتِ بالعصابات وغيرها … أم أنت تُحبين السينما وتتخيَّلين نفسك بطلة؟

نوسة: إنني بطلة مغامرات ولكن بدون سينما!

فاتن: من الأفضل أن أذهب بك إلى بيتك … فمسألة العصابات هذه لا تُعجبني.

نوسة: أُؤكد لحضرتك أنها الحقيقة … وإذا سمحتِ لي أن أزوركِ فسوف أروي لكِ هذه القصة كلها!

فاتن: إن ذلك يُسعدني جدًّا، ولولا أنني مرتبطة بموعد تصوير الآن في الهرم لذهبت معك.

نوسة: بالمناسبة، أين كنا عندما التقيتُ بك؟

فاتن: بجوار «بنك مصر» بشارع «محمد فريد»!

ووصلَت السيارة إلى «باب الخلق» وأوقفَت الممثِّلة الشهيرة سيارتها أمام مديرية الأمن، ونزلت «نوسة» مسرعة، واجتازَت البوابة بدون أن تُلقي بالًا إلى احتجاج الشرطي الذي كان يقف عليها … وانطلقَت كالسهم إلى مكتب المفتش «سامي» … ولكن قبل أن تصل إليه فوجئَت بباب يُفتح … وكالحلم برز «تختخ» بحجمه المتميِّز … وأسرعَت «نوسة» تُلقي بنفسها بين ذراعَيه.

صاح «تختخ»: «نوسة»!

وصاحَت «نوسة»: «تختخ»!

تختخ: أين «لوزة»؟

نوسة: ما زالَت في أيدي العصابة!

وظهر «محب» و«عاطف» وخلفهم ظهر بعض الضبَّاط.

وقال «تختخ»: لقد وصلَت إلينا رسالتك، وأبلغنا إدارة البحث الجنائي، والمفتش «سامي» ليس هنا، وكان في نيتنا الآن أن نتجه إلى شركة النقل ونفتحها عَنوة؛ فقد نجد طريقًا إلى مكان العصابة ... وقد ضاع وقت طويل في ...

نوسة: إن العصابة في عمارة بجوار «بنك مصر» بشارع «محمد فريد»!

قال أحد الضبَّاط: إنها قريبة من هنا! ... هيا بنا!

نوسة: قد لا نلحق بهم ... فمن المؤكَّد أنهم أسرعوا يُغادرون المكان بعد أن هربتُ منهم ...

تختخ: هربت؟

نوسة: طبعًا! ... وهل تظن أنهم أطلقوا سراحي؟!

كان الحديث يدور وهم يُسرعون إلى الشارع، حيث كانَت في انتظارهم ثلاث عربات محمَّلة برجال الشرطة ... وسرعان ما صفَّرَت السيارات وانطلقَت إلى شارع «محمد فريد».

روَت «نوسة» في الطريق للأصدقاء الثلاثة ما جرى لها هي و«لوزة».

وقال «تختخ»: ماذا فهمتم من الحديث الذي دار بين رجال العصابة؟

نوسة: فهمنا أنهم سيذهبون إلى «الإسكندرية» ومعهم الصندوق.

تختخ: منذ متى؟

نوسة: منذ ساعة تقريبًا!

ثم التفتَ «تختخ» إلى أحد الضبَّاط قائلًا: أقترح أن تذهب سيارة إلى شارع «محمد فريد» ومعها «نوسة» لتدلها على العمارة، وتُسرع سيارة إلى طريق «الإسكندرية» الصحراوي ... وسيارة إلى طريق «الإسكندرية» الزراعي.

الضابط: لماذا؟

تختخ: لأن العصابة أخذَت معها رجل الصندوق «همَّام القناوي» وسافرَت إلى «الإسكندرية» ... وإذا حسبنا الزمن اللازم لتجهيز سيارة النقل والصندوق ... وسرعة سيارة النقل؛ فهم الآن على أول الطريق إلى «الإسكندرية»!

وأمسك الضابط بـ «ميكروفون» الاتصال اللاسلكي وتحدَّث، ثم توقفَت السيارات الثلاث، فركبَت «نوسة» و«محب» مع السيارة الذاهبة إلى مقر العصابة، وركب «تختخ» مع السيارة الذاهبة إلى الطريق الزراعي المتجه إلى «الإسكندرية»، وعادَت الصفارات للانطلاق، واندفعَت السيارة التي بها «تختخ» إلى الطريق الزراعي، واندفعَت السيارة التي بها «عاطف» إلى الطريق الصحراوي.

وقد وضع «تختخ» في اعتباره أن يُوجد واحدٌ من المغامرين في كل سيارة ليكون بجوار «لوزة» عندما يعثرون عليها؛ فهي إمَّا في مقر العصابة، أو أخذَتها العصابة معها حيث اتجهَت.

كانَت عين «تختخ» على مؤشِّر السرعة في سيارة الشرطة القوية ... وكان السائق البارع يُطلق صفارته فتُضاء له الأنوار الخضراء، ويندفع بسرعة تتجاوز السبعين كيلومترًا في الساعة، وعندما وصلوا إلى بداية الطريق أخذ مُؤشِّر السرعة يرتفع تدريجيًّا ... ثمانين ... تسعين ... مائة ... مائة وعشرين ... وكانَت السيارة تُزمجر ولا تكاد تمس الأرض.

قال الضابط مُحدِّثًا «تختخ»: أرجو ألَّا يكونوا قد استبدلوا السيارة!

تختخ: لا أعتقد ... إنها إحدى السيارات التي تملكها «الشركة العالمية للنقل» ... فصاحبها مشترك مع العصابة ... أو هو زعيم العصابة ذاتها.

ومضَت السيارة طائرةً على الطريق ... وأنوارها الكشَّافة العالية تُطلق فيضًا من الضوء القوي على جميع السيارات التي تسبقها ... وقد كانَت سيارات قليلة في هذه الساعة المتأخِّرة من الليل ... وكانَت هذه السيارات تقف إلى الجانب الأيمن كلما سمعَت الصفارة العالية.

وفجأةً وقعَت الأضواء على سيارة نقل تقف فجأة ... ويقفز منها عدد من الرجال انطلقوا يجرون في الظلام إلى المزارع ... ولم يكن في استطاعة سائق سيارة الشرطة أن يتوقَّف فجأةً وإلا انقلبَت السيارة المسرعة ... وهكذا أخذ يكبح جماح السيارة شيئا فشيئا، وعندما توقَّفَت كانوا قد تجاوزوا سيارة النقل بمسافة طويلة، فعاد السائق يقود السيارة إلى الخلف حتى وقف بجوار سيارة النقل تمامًا، وقفز الضباط شاهرين أسلحتهم.

كانَت هي سيارة «شركة النقل العالمية» ... وكان الصندوق عليها.

وصعد بعض الرجال إلى السيارة، وانطلقَت الكشَّافات اليدوية في المزارع، وانطلق صوت من «ميكروفون» الشرطة يُنادي أفراد العصابة بالاستسلام.

قفز «تختخ» إلى ظهر سيارة النقل، وبجوار الصندوق كانَت كومة من القش من تحتها كان يصدر أنين مكتوم ... وأزاح «تختخ» كومة القش، وشاهد «لوزة» مربوطةً ومكمَّمةً وملقاةً على أرض السيارة.

أسرع «تختخ» يفك وثاق المغامرة الصغيرة الباسلة ... ورفعها بين ذراعَيه وهي شبه مغمًى عليها ... ولكنها لم تكَد تُحس بيدَيه حتى فتحَت عينَيها وقالَت بصوت واهن: «تختخ» ... لقد وصلتَ في الوقت المناسب!

واحتضنها «تختخ»، وطبع على جبينها قبلةً أودعها كل حنانه وحبه للمغامرة الصغيرة.

وصعد أحد الضباط إلى سطح سيارة النقل، وأشار «تختخ» إلى الصندوق، فألقى الضابط ضوء كشَّافه القوي … ودقَّ «تختخ» بإصبعه على الصندوق، ولكن شيئًا لم يحدث … ودقَّ مرةً أخرى … ولكن الصندوق لم يصدر عنه أي صوت.

وخشي «تختخ» أن يكون قد وقع ضحية وهم، فأخذ الكشَّاف من الضابط واقترب من الصندوق وأخذ يتأمَّله … دقَّ قلبه فرحًا عندما وجد الوردة الصغيرة التي رسمَتها «ناهد».

قال «تختخ» بثقة: يا حضرة الضابط … الرجل داخل الصندوق.

واقترب الضابط، وبكعب حذائه دقَّ الصندوق دقَّات قويةً وصاح: اخرج يا «همَّام» لقد وقعت! … اخرج باسم القانون وإلا أطلقتُ الرصاص.

وأتبع التحذير بجذب زناد مدفعه الرشَّاش … وحدثَت حركة داخل الصندوق، ثم فُتحَت فتحة صغيرة، وعلى ضوء الكشَّاف بدَت العينان القاسيتان، والحاجبان الكثيفان … وأحدهما ناقص.

ونظرَت العينان بدون أن تريَا تحت وقْع الضوء الشديد، فقال الضابط: ابقَ مكانك؛ فهذه أفضل طريقة حتى لا تهرب، ثم جلس فوق الصندوق ومدفعه الرشاش في يده.

جاء ضابط آخر وقال لزميله: إننا نُطاردهم في المزارع … وسنحتاج إلى قوات إضافية.

قال الضابط الأكبر رتبة: اتصل لاسلكيًّا، واطلب من قسم الشرطة القريب أن يُحاصر المكان بقواته … واستوقف أي سيارة عائدة إلى «القاهرة» لتأخذ هذَين البطلَين الصغيرَين معها.

في مساء اليوم التالي كان هناك اجتماع بهيج ضم المغامرين الخمسة و«ناهد» والمفتش «سامي» في حديقة منزل «عاطف» كالمعتاد.

قال المفتش: إنني أنقل إليكم شكر المسئولين عمَّا قمتم به من عمل بطولي لإقرار العدالة والقبض على المجرم الخطير «همَّام قناوي».

ناهد: إن القصة ما زالَت محتاجةً إلى بعض التفسير … ماذا كان «همَّام قناوي» يفعل داخل هذا الصندوق؟

التفتَ المفتش «سامي» إلى تختخ قائلًا: أظن من الممكن أن يشرح لنا «تختخ» ما توصَّل إليه من استنتاجات.

قال «تختخ» وابتسامة ترف على شفتَيه: أعتقد أن بقية المغامرين قد عرفوا الحكاية … فقد هرب «همَّام»، وساعدَته عصابة من أصدقائه فيها صاحب «شركة النقل العالمية»

... ولَمَّا كان «همَّام» يعرف أن الشرطة تجِدُّ في أثره، وأنهم سيعثرون عليه مهما اختفى؛ فقد قرَّر أن يهرب إلى الخارج ... وكانَت الوسيلة شحنه في صندوق مغلق وتصديره عن طريق «الإسكندرية» ... وربما زوَّروا له جواز سفر يستعمله عندما يصل إلى البلد الأجنبي ... هذا ما توصَّلتُ إليه ... ولعل المفتش يُضيف إلى هذا الاستنتاج تفاصيل أخرى ... وبخاصةٍ عند تفتيش الصندوق في «الإسكندرية».

المفتش: إن الاستنتاج صحيح ... ولكن التفاصيل أخطر بكثير ... فقد استطعنا القبض على كل أفراد العصابة تقريبًا، واكتشفنا مسألةً أخرى خطيرة، بل في الحقيقة مسألتَين.

وسكت المفتش لحظات، ثم مضى يقول: المسألة الأولى: أن عصابة «شركة النقل العالمية» مُتخصِّصة في تهريب المجرمين الخطرين ... الذين يستطيعون أن يدفعوا لها مبالغ كبيرة ... وقد سبق أن هرَّبَت العصابة رجلَين آخرَين كان المطلوب القبض عليهما ... هرَّبَتهما بواسطة الصناديق وجوازات السفر المزيَّفة.

محب: ولكن كيف تمرُّ الصناديق في جمرك «الإسكندرية»؟ ... ألَا تُفتَّش هناك؟

المفتش: سؤال هام جدًّا كما سبق لـ «تختخ» أن لاحظ أيضًا ... وهذه هي المسألة الثانية ... فقد اتفقَت العصابة مع سائق في شركة تصدير الثلَّاجات أن يضعوا الصندوق المطلوب تهريبه بين صناديق الثلَّاجات التي تُصدِّرها مصر إلى الخارج! والمسألة ببساطة أن ينتظر سائق سيارة الثلَّاجات في مكانٍ مظلمٍ من الطريق الزراعي ليلًا ... وتصل سيارة شركة النقل، ويتم إنزال أحد صناديق الثلَّاجات، ويوضع مكانه الصندوق الذي به المجرم الفار ...

هزَّ الأصدقاء رءوسهم في دهشة، فقال المفتش: وهكذا أصبتُم ثلاثة عصافير بحجر واحد ... أوقعتم بـ «همَّام القناوي»، وبعصابة النقل، وبالسائق عديم الذمة ... فأُهنِّئكم من كل قلبي.

التفتَ «تختخ» إلى «ناهد» قائلًا: الفضل لـ «ناهد»؛ فنظرة منها أوقعَت كل هؤلاء.

التفتَت «ناهد» إلى «نوسة» قائلة: أعتقد أن الفضل الأول يعود إلى «نوسة». إنها بطلة هذه المغامرة المثيرة.

صاح الأصدقاء جميعًا في نفَس واحد: فعلًا!

وقال المفتش: لهذا فإني أُهديها جائزة وزارة الداخلية ... وقدرها مائة جنيه.

نوسة: اسمحوا لي أن أقول ... إننا جميعًا اشتركنا في هذه المغامرة ... وباسمكم جميعًا أتبرَّع بهذا المبلغ لإحدى الجمعيات الخيرية التي يختارها المفتش «سامي».

وصاح الأصدقاء مرةً أخرى في نفَس واحد: موافقون!

